روايات عبير

كيت ولكر

حب أخير

www.elromancia.com

مرمورية

٢٤٧

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

HARLEQUIN - " ABIR " - No. 247

حب رخيص

حطم العريس « إيدان » أحلام عروسه الحسناء « إيديا مارشانت » ليلة زفافهما برفضه الزواج منها علانية فى الكنيسة وفى حضور المدعوين واتهامها بالوصولية واستغلال الأثرياء .

تركها إيدان وحدها تعانى الإهانة ، ثم عاد بعد عام لينتقم منها ومن أسرتها ويعرض عليها مساعدة أسرتها فى محنتهم المالية على أن تدفع إنديا له الثمن ...

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K.	2,40
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France	F 16
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece	Drs 320
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus	P 2,40
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق		

الفصل الأول

« لا » هى آخر كلمة يمكن توقع سماعها فى حفل زفاف يقام بكنيسة بإحدى القرى الصغيرة . قد تكون كلمة واحدة ولكنها كافية لتبديد مشاعر السعادة والفرح والبهجة فى حفل زفاف « إنديا » وتحويله للليلة من أتعس الليالى فى حياة العروس إنديا .

قبل ثوانٍ من مقابلة عم إنديا - القائم على مراسم حفل زفاف إنديا و« إيدان » - العروسين بابتسامة عريضة والتقاء عينيه بعينى إنديا الخضراوين اللامعتين تملأهما السعادة والمرح والتفاؤل . عم إنديا : « والآن وصلنا لأهم شىء ضمن طقوس الحفل . يا إيدان عليك بالقسم .. هيا يا عريس !! ».

رفع إيدان رأسه وحرك كتفيه مبديا الاستعداد لتنفيذ ما طلبه عم إنديا. حملقت إنديا النظر فى إيدان ورأت علامات التوتر على وجهه وقبضة فكيه فابتسمت فى توتر .

لم تصدق إنديا أن يشاركها عريسها هذا القلق والتوتر فى أهم لحظة فى حياتهما وأبعدت يدها عن يد إيدان ولكنها انزعجت لعدم اهتمام إيدان وعدم حرصه على إمساك يدها .

عم إنديا : « هل قبلت الزواج من إنديا ؟ ... ».

يرقص قلب إنديا لقدوم اللحظة التى انتظرتها طويلا . فقط بعد ثوان قلائل سيوثق زواجهما وتصبح زوجة إيدان ، ويتغير اسم إنديا مارشانت إلى إنديا وولف . (يالها من لحظة مهمة ، ستغير قالب حياتى كلها) .

عم إنديا : « وستبقى على حبك لها حتى الموت ، يا إيدان ؟ » .

تفكر إنديا (حتى الموت سأكون زوجة إيدان . فلن يفرقنا الموت أبدًا) .

امتد صمت طويل ينتظر بعده الإجابة بثقة ودون تردد .

عم إنديا : « إيدان ؟ » .

ساد ضجيج بين المدعوين بين أعمدة الكنيسة . لم تبتسم إنديا، فالجميع يتوقعون خجلها هي لا العريس . خاصة إذا كان العريس هو « إيدان وولف » الشهير بـ (لون وولف) ، رجل الأعمال المعروف ذو العقلية الفولاذية . أما أن يكون مترددا هكذا يبحث عن كلمات يذكرها فأمر مستحيل !!

عم إنديا : « إيدان .. هل ستعلن قبولك الزواج من إنديا ؟ » .

« لا » .

كان الرد عنيفاً قاسياً بارداً على أسئلة عم إنديا . خيم صمت رهيب تجمدت معه نسمات الهواء وتلاشت جميع الأصداء ، دوت الكلمة في رأس إنديا كالرعد . أحست إنديا الهواء ينسحب من رئتيها . (لا .. مستحيل !! إيدان لا يقصد رفض زواجنا) شحب وجه إنديا . أطالت إنديا النظر إلى إيدان في استغراب . لاحظت كبرياءه وزهوه . أحست إنديا بسكين رشق في قلبها .

أدار إيدان عينيه بعيدا عن عيني إنديا الخضراوين الواسعتين وترك يديها متجاهلا وجودها تماما ، أو أن وجودها لا يخطر على باله في شيء .

عم إنديا : « إيدان ... » يحاول عمها ثانية في اضطراب . تعض إنديا على شفتيها وتقاوم رغبتها في الصراخ والبكاء .

عم إنديا : « لقد قلت هل أنت ... ؟ » .

إيدان : « وأنا قلت لا » .

وفي النهاية أدار إيدان وجهه ناحية إنديا. لاحظت إنديا تغير وجهه وتمنت لو أنه لم يلفت وجهه ناحيتها . لترى كل هذه القسوة في عينيه . لم يكن هذا إيدان الذي تعرفه .

وكأنها تراه لأول مرة . ترى رجلا فظ الملامح ، ينظر إليها شذرا في ازدراء .

نعم إنها كانت تحب رجلا آخر بشخصية مختلفة. لاحظ إيدان وجهها الأبيض الناضر وعينيها الخضراوين الواسعتين والتعارض الواضح بين وجنتيها الشاجنتين وشعرها الذهبي الطويل والتاج الفضي الصغير وطرحتها وفستانها الأبيض. لكن لم يرق قلبه لحالها أبدا . هل هذا هو إيدان الذي أحبته وحلمت بالزواج منه؟

ترتعد إنديا بذكرها اسم إيدان وتجد نفسها تمسك بذراعه ربما لتلفت انتباهه ناحيتها ونحو مخاوفها في أهم لحظة في حياتها ، أو ربما لتمنح نفسها بعض القوة ضد هذا الشعور بالضعف الذي يجتاحها ويقهرها . خافت إنديا أن تنهار بين فستانها. أطراف فستانها وطرحتها البيضاء الحرير على قدمي إيدان .

وكأنها تتوسل إليه : « أرجوك لا تمزح .. » .

تفكر إنديا محاولة خداع نفسها باعتبار أن رفض إيدان مجرد مزاح مهول . حاولت إنديا الابتسام لتوضح فهمها للموقف . قوبلت ابتسامتها بنظرة رفض عدوانية ووجه متجهم وأحست بهطول أكوام من الصخور على رأسها . يشد إيدان ده بعيدا عنها في عنف .

تحولت لهجة إيدان من الرقة إلى جفاء واضح « ليس مزاحاً . وإنما أعني حديثي كله » .

حملق المدعوون النظر إلى بعضهم البعض في صمت مفاجيء، وبدا التناقض واضحا في تعبيراتهم الفجائية وملابسهم المبهرجة الألوان .

« أرجوك . كن جادا ، يا إيدان » .

« أنا في منتهى الجدية » يرد إيدان في وقاحة .

« لكن ... » الآن تحس إنديا رائحة الزهور أقوى فتشعر بغثيان « مستحيل أن يكون هذا رأيك .. » .

« مستحيل أن يكون رأيي ؟ » يسخر إيدان « هل أنت في حاجة لمزيد من التوضيح ؟ حسنا » .

يمسك إيدان كتفها ويديرها نحوه . تجد إنديا نفسها في مواجهة المدعوين .

وترى عيناها الشاردتان والدها باديا عليه الغضب والقلق ، تهدئه والدتها .

لم يكن والدها موافقا على زواجها من إيدان . لقد حذرها كثيرا من الارتباط برجل مثل إيدان ، ولكنه تراجع أمام اقتناعها وإصرارها . كان عليها أن تهتم بشكوك والدها . بدلا من أن تقف هذا الموقف فى ليلة زفافها .

« الآن سأوضح لك الموقف . أنا لن أتزوجك » شدد إيدان فى كلامه على كل كلمة ينطق بها فى وقاحة وبرود رافضا تفسير إنديا لموقفه .

تنزعج إنديا لتهكمه من زواجهما وتحول الحفل تحولاً مريعاً مدمراً ، ضيع كل أحلامها وأمانيها بهذه الصورة .

حاولت إنديا أن تسد أذنيها بأصابعها ، منعها إيدان من ذلك وعيناه الزرقاوان تنظران شذرا .

« اسمعينى ، أريدك أن تعرفى أننى لن أتزوج الآن أو فى أى وقت ، إننى أفضل الموت على أن أسلم نفسى لسجن الزوجية . إن الزواج ما هو إلا كذبة » .

« لكن » .

« لا » .

يمرر إيدان أصابعه بين شعر رأسه الأسود الناعم اللامع ويتنهد فى غضب شديد .

« آسف ، ليس بيدى شىء يا إنديا » تتطاير خصلة من شعره على وجهه ، ساعتها تنتاب إنديا أحلى الذكريات ، إذ كانت دائما ترفع بيدها خصلة شعره .. ويبتسم إيدان .. تكاد إنديا تمد أصابعها لترفعها . ربما لو أنها فعلت ذلك يعيش معها هذه الذكريات وبغير رأيه...

ولكن تعبيرات وجهه ونظرات عينيه كانت أقوى من رغبة إنديا والحقيقة أمر كثيرا .

صرخت إنديا : « أنت لا تأسف على ما حدث إطلاقا !! » يزيد ألم إنديا حينما تدرك لا مبالاة إيدان بحديثها واتهامها له .

« أنت لا تندم على شىء .. لأنك ... » ينسد حلق إنديا ولا تستطيع

استكمال حديثها بذكرها السبب وهو عدم اهتمامه بأى شىء أصلا .

كانت إنديا تعرف من البداية أن مشاعر وأحاسيس إيدان ليست ملكاً لها تماما . رغم أنه تملك قلبها وعواطفها . وحين تقدم إيدان لخطبتها لم تفكر مرتين ، وافقت على الفور واستعجلت حفل الزفاف حتى لا يغير إيدان رأيه .

لكن كيف له أن يفعل هذا ؟ يقف بهذا البرود والقوة ، كل كلمة ينطقها تدمر إنديا تدميرا .

تتحدث إنديا فى هدوء : « لا تتصرف هكذا ، لا تحاول تغيير مشاعرى تجاهك ، سأكرهك وأندم على أسمى المشاعر الحلوة الجميلة » .

« تكرهينى ؟ » .

« أجل سأكرهك من كل قلبى . ولن أستطيع الصفح عنك أو الغفران لك.. أبدا !! » يبتسم إيدان . لكنها ابتسامة بعيدة عن المرح تحمل السخرية والتهكم .

« رائع . فى الواقع ، يا إنديا ، هذا بالضبط ما كنت أتمناه ، برافو عليك » .

يبتعد إيدان « قلت لا » .

ترفع إنديا البرقع عن وجهها الشاحب وعينيها اللامعتين الخضراوين .

« لن تستطيع تركى هكذا يا إيدان » .

يحملق إيدان النظر المرير إليها .

« سترين ، يا إنديا » .

تأخذ إنديا باقة ورد منتقاة روز .

« قلت لا يا إنديا » يبعد إيدان .

تلقى إنديا باقة الزهور الرائعة ناحية إيدان الذى ينظر بطرف عينيه ويمسك بباقة الزهور قبل وقوعها على الأرض .

ساد الصمت فترة طويلة . التقت عيناه الزرقاوان بعينى إنديا . قطع إيدان هذا الصمت وأطال النظر إلى باقة الزهور .

تحدث إيدان فى بطء : « حسنا ، الآن » يرفع إيدان الزهور لتحية المدعوين

«أعتقد أنه فى هذه المناسبة ، تقليديا على الأقل ، سيغنى قذف للزهور أمنيتى لكم بالزواج . ولكن سامحونى ، فكرة حياة العبودية لا أستطيع مواجهتها أبدا مع هذه العروس ».

لم تستطع إنديا تصديق ما سمعته . إنه يتحدث كما لو أن إنديا هى التى نصبت شباكها حوله . ولكنه هو الذى تقدم لخطبتها.

فما الذى اضطره إذن للتقدم لخطبتى وهو لا يطيقنى ؟

« ولكن ربما يواتيكم الحظ مع عريس آخر يسعدكم بمناسبة أخرى ويتمنى لكم السعادة ».

يلقى إيدان الزهور ناحية إنديا فى ازدراء ، ولكنها سقطت على الأرض .

« لقد قلت يا إنديا أنك ترغبين الزواج من رجل ثرى . آسف لن أكون أنا هذا العريس .. حتى لو كنت أنا أول عريس تقدم لخطبتك». فهمت إنديا ما يقصده . تئن إنديا . تذكرت إنديا كلماتها: « لقد مللت الفقر . سأبحث عن زوج ثرى يأخذنى لعالمه . لن أنتظر حتى يأتينى هذا الزوج . فى الواقع أول ثرى سأراه لن يستطيع مقاومة سحرى وإغرائى . وساعتها سأمتلكه ويصير خاتما فى إصبعى... !!».

صحيح أن أنديا ذكرت هذا الكلام ولكنها كانت تمزح .

انسد حلق إنديا . لقد صرحت فى إحدى حفلات أصدقائها بهذا الحديث فى غير جد .

ولكن كيف سمع إيدان حديثها غير الجاد ؟ إنه لم يكن بالمنزل ساعتها وحين قدم نسيت حديثها أمام جاذبيته ووسامته وطوله الفارع وقوة بنيانه وابتسامته الساحرة وأناقته .

« إيدان ... » حاولت إنديا الحديث ، لم توانها القدرة على الحديث حتى لو حاولت الحديث فلن يسمعها إيدان . صار ترددها وعجزها عن الحديث دليلاً ضدها .

« آسف يا إنديا . لا تنتظرينى . ستقابلك فرص كثيرة أخرى يمكنك

اصطياد ثرى آخر غيرى » لم يظهر فى لهجته أى ندم أو حزن .

وقف الجميع مذهولين بهذه الدراما النادرة .

أدركت إنديا سماع عائلتها وأصدقائها ما حدث . أما إيدان فهو وحيد ، ولكنه رغم أنه دعا أصدقاءه للحضور وأن التسرع فى الترتيب للحفل لم يتح لهم فرصة الحضور . ولكن الآن فهمت إنديا انه لم يدعُ أصدقاءه أصلا . (ياله من ندل وضيع خطط للانتقام منى فى حفل عام يرفضنى فيه ويهينى !!) .

أنهى إيدان حديثه وخرج من الكنيسة ومن حياة إنديا دون أن يخص إنديا بأية نظرة ، حتى وإن كانت نظرة سخرية !!

الفصل الثانى

كـــانت الزهـور هى أول شىء رأته إنـديا حين دخلت المنزل فى نهايـة يوم عصيب . صارت الزهـور تعنى بالنسبة لها المشكلات والمتاعب التى طالما عانت منها .

تألقت الزهور بألوانها الصفـراء مع أشعـة غـروب الشمس فى مشهـد رائع ترتاح له النفس .

لم تعـد تمثل الزهور شيئا بالنسبة لها . لم يبق فى ذاكـرتها سوى الزهور الملقـاة على أقدامها ليلة الاحتفال بزفافها منذ عام مضى . ذكرى أنستها جمال الزهور .

ترددت كلمات إيدان فى رأسهـا ، تحاول إنديا نسيـانها ولا تجدى المحـاولة . وكأنها سمعت هذه الكلمات بالأمس لا منذ عام مضى .

« لا تتوقعى رؤيتى أبدا بعد هذا الحفل » .

أجل لن يعـود إيـدان . لقـد عـرفت إنديا هذا منـذ اللحظة التى رأت فيهـا وجهـه ورأت عـلامـات رفضـه فى كل قسـمـة من قسمات وجهـه وكل نظرة من نظرات عينيه ..

كـان إيدان وولف شخصيـة متكبرة قاسيـة . هو إنسـان عاش حيـاته طبقـا لمعايير خـاصة به متجاهلاً القيـود . اعتمد على نفسه ، بدأ من الصفـر حتى صار رئيس مـؤسسة كبرى . رغم شخصيتـه القـوية وجديتـه فى تعـاملاته وصعـوبة خـداعـه ، أحست إنـديا أن وولف سيتعـامل معهـا بطريقـة مختلفـة أكثـر رقـة وتعاطفاً.

لكن كيف لها أن تعرف شيئا عن إيدان ؟ لقد قابلته قبل ستة أسابيع فقط من موعد ليلة الزفاف . بينما تواجه إنديا حقيقة هذا السؤال ، تنتابها كلمات «جين» صديقتها .

قالت صديقتها : « يا إلهى . اندى . لا . انسى هذا الرجل لا تفكرى فيه أبدا» هكذا علقت «جين» حينما صارحتها إنديا بحبها المفاجىء لإيدان . وقتها اختفت الابتسامة من وجه جين .

إنديا : « ولم لا يا صديقتى » .. « هل هو إنسان لا يعرف الحب الحقيقى يخذل من تحبه ؟ » سألت إنديا صديقتها وهى مأخوذة بقوام ايدان الفارع وسحر ابتسامته وجمال عينيه وقوة بنيته .

« بل أكثر من هذا ، إنه يتعامل مع المرأة مثلما يتعامل مع رجال الأعمال يأخذ ما يريد ويستبعد أى شىء آخر دون أن تنقص نبضات قلبه نبضة واحدة . لقد قيل عنه أن قلبه لا يعرف الحب . هذا إذا كان لديه قلب يحس ويشعر مثلنا . لقد حذرتك يا صديقتى» .

لم تهتم إنديا بنصيحة صديقتها جين ولا بشخص إيدان إن كان ثريا أو فقيراً ، ناجحاً أو فاشلاً ، لم تكن إنديا تؤمن بالحب من أول نظرة من قبل . ولكن حين رأت إيدان تغير كل شىء تغير إحساسها بالواقع واضطربت واهتز كيانها .

لذا ذهبت لإيدان وعرفته بنفسها .

قالت له فى بهجة : « أنا الفتاة التى انتظرتها طوال عمرك » .

« هل أنت حقا .. ؟ » تفحصها بعينيه الزرقاوين من الرأس حتى القدمين «معك حق . كم أنت فاتنة !!» .

طلب لها إيدان مشروبا وتحدث إليها فى كل شىء ، أبدى إيدان قوة هائلة فى الحديث وخفة الظل . وتوطدت علاقتهما إلى أن اختتمها إيدان بحفل رَقْص بدلا من حفل زفاف سعيد ، وهو أقوى سلاح ضربها به إيدان .

وفى نفس اللحظة التى أدركت فيها إنديا عمق حبها لإيدان ، تحول هذا الحب الكبير إلى كراهية عميقة .

ساعدتها هذه الكراهية على تخطى السنة التالية لحفل الزفاف الوهمى . ومواصلة حياتها بشكل طبيعى ومنحها القوة لتجاهل نظرات الآخرين وتعليقاتهم الهامسة . فلو أنها استسلمت لألمها ، لما خرجت للناس . وحينئذ سيتأكد لإيدان انتصاره عليها ونجاح خطته لإهانتها أمام الملأ . (إننى أفضل الموت على أن يتحقق لإيدان ما تمناه) .

أرغمت إنديا نفسها على الظهور بابتسامة عريضة وأن ترفع رأسها عالياً . بالفعل نجحت فى إقناع الناس بعدم اهتمامها بما حدث . وغالبا استطاعت تصديق نفسها .

سألت إنديا أخاها : « متى وصلت هذه الزهور ؟ » .

« جارى » : « سلمها لى « كوجان » فى الثانية ظهرا» .

واضح أن جارى لا يعى صراع إنديا وعمق مشاعرها التى تحاول السيطرة عليها « فجارى » - ١٤ عاما - مثل الكثيرين من أبناء جيله يعيش فى عالم خاص به . ربما أنه لا يدرك أو يتذكر شيئا من أحداث العام الماضى .

« ألم يخبرك كوجان من أرسلها ؟ » .

تفكر إنديا (ولماذا أرسلت هذه الزهور تحديدا فى الثانية ظهرا؟ بالتأكيد إن من أرسلها يدرك أهمية هذه الساعة) تزداد شكوك إنديا .

« هل تريدين أن ترى الكارت ؟ » .

لم ترد إنديا رؤية الكارت ، حتى لا تتأكد مخاوفها . ولكنها مضطرة لذلك .

تتصفح إنديا وأخوها الكارت .

جارى : « من هى الشخصية (أ) ؟ يبدو أنه معجب ورفض التصريح باسمه» .

إنديا : « لا شىء من هذا ، يا جارى» .

لم تصدق إنديا أن أخاها لا يدرك أن صاحب الكارت هو إيدان .

ربما أنه لم يخمن ، أو ربما لأنها تفكر فى إيدان .

سيطرت على إنديا رغبة فى أن تمزق الكارت وتلقى بباقة الزهور فى سلة

المهملات ولكنها لن تترك الفرصة لإيدان ليعرف أنها مازالت تفكر فيه وأنها ما زالت متأثرة بما حدث فى العام الماضى .

بالطبع إن إيدان هو صاحب الكارت بدليل اختياره لنفس زهور حفل الزفاف وإرسالها فى نفس ميعاد حفل الزفاف . ولكن كيف يتصرف معها إيدان بهذه القسوة بعد مرور عام وما كل هذا الحِقد؟ هل هو يكرهها لهذا الحد ؟

« جارى . ذكرنى بأن نأخذ هذه الزهور إلى المستشفى . قد تلقى إعجاب أحد هناك » .

من الصعب أن تترك هذه الزهور أمامها بالمنزل .

« لكن ، هذه الزهور لك أنت بمناسبة عيد ميلادك » ينظر إليها جارى فى حيرة « يتمنى لك صاحبها السعادة » .

« لم ترسل لى هذه الزهور لتمنى السعادة لى يا جارى . وأنا عندى زهور كثيرة . ستظل والدتى بالمستشفى هذه الليلة . لذا فأنا وأنت سنتناول العشاء وَحدنا هذه الليلة . وسيمر علىّ « جيم » لنذهب سويا إلى والدى بالمستشفى .

« هل تحسنت حالة أبى ؟ هل أفاق من غيبوبته ؟ » .

يسأل جارى فى قلق .

« لا ، يا جارى ، لم يفق أبى من غيبوبته » .

تقترب إنديا من جارى الذى بدت على وجهه علامات القلق الشديد ونربت على كتفه .

نسيت إنديا باقة الزهور المؤلمة وتذكرت وحدة العناية المركزة والأجهزة الطبية الموجودة إلى جوار والدها المصاب بجلطة .

« كل ما علينا يا « جارى » هو أن نصبر وسيفيق والدى إن شاء الله » .

« لقد قالوا لنا هذا الكلام منذ أيام » يرتعد صوت جارى .

« أعرف يا جارى » .

تكتئب إنديا مثل جارى . لأن يصاب والدها وهو لم يبلغ بعد سِن الخمسين بهذا المرض المفاجىء منذ أسبوع . مستحيل فلا يزال والدها فى ريعان شبابه .

« ليس بيدنا شىء آخر نفعله . إن أبى فى أيدٍ أمينة وكل ما نستطيع فعله هو الانتظار والصبر والدعاء له » .

لا تزال إنديا تذكر هذه الكلمات « الصبر والدعاء » فى طريق رجوعها من المستشفى .

تتنهد إنديا « أشكرك يا جيم ، لقد أرهقتِك معى . لم يكن بإمكانى أن أقود السيارة للمنزل » .

يمسح « جيمس هاوثورن » يده على شعره الناعم الأسود ويبتسم .

« ليس هناك أى إرهاق . بالعكس أنا سعيد جداً بتوصيلى لكِ » . تنظر « إنديا » ناحية المنزل وترى أضواء المصابيح غير مضاءة إلا فى الردهة « يبدو أن « جارى » نائم . كنت أتمنى أن أدعوك لتناول فنجان من القهوة . سامحنى ... » .

« لا عليك . فأنا على أية حال لن أستطيع قبول دعوتك . فأنت مرهقة وفى حاجة للنوم » .

تتنهد إنديا : « أجل . أشعر وكأنى فى حاجة للنوم مدة أسبوع » .

« اطمئنى يا إنديا ، فحين تتحسن الظروف سأقيم لك أكبر حفل بمناسبة عيد ميلادك » يفتح « جيمس » باب السيارة » .

« استريحى يا إنديا وحاولى ان تنامى الآن . سأراك غدا » .

تقبل إنديا جيم .

« كم أنت لطيف معى يا جيم . أنا عاجزة عن شكرك » .

يبتسم جيم : « لا داعى للشكر . أنت تعرفين أنى على أتم الاستعداد لفعل أى شىء من أجلك . فقط عليك أن تأمرى وسأنفذ على الفور كل ما تطلبينه » .

رأت إنديا فى عينى « جيم » أمنيته فى أن تكون قبلة « إنديا » له ليست مجرد قبلة صداقة فقط . ارتبكت إنديا حين أدركت نظرة عينى « جيم » العسليتين وجرت مسرعة .

« سأراك غدا يا جيم ، عليك بقيادة السيارة فى حِرص . أرجوك » .

لم يكن « جيم » السبب فى عدم اهتمام « إنديا » أو عدم مبادلته نفس المشاعر .

وإنها إيدان هو السبب . جعلها « إيدان » تفقد الثقة بأى رجل وتقتل الحب فى قلبها .. تشاهد « إنديا » جيم يختفى بسيارته . تتجه إنديا للمنزل .

تسمع إنديا صوتا لا تعرف مصدره « كم أنت جميلة !! » .

إنديا : « من هناك ؟ » .

« كم أنت لطيف معى . أنا لا أعرف كيف أشكرك » تسمع « إنديا » صدى كلماتها مع جيم فى لهجة ساخرة .

تتجمد إنديا فى مكانها ويجتاحها رعب شديد .

« أنا متأكد من أنك ستجدين الطريقة المناسبة لتشكريه ، أيتها البرنسيسة (الأميرة)، أليس كذلك ؟ » .

لم يكن أحد يدللها بهذا الاسم سوى « إيدان » . لمعرفته بانتماء « إنديا » للإمبراطورية البريطانية . لا شك الآن فى صحة ظنونها . فجأة تجد إنديا نفسها قائلة « أهلا ، إيدان » .

فى الواقع لم يفاجئها إيدان بزيارته لها ، لأنها كانت تفكر فيه طوال يومها بالفعل .

« ماذا تفعل هنا يا إيدان ؟ » .

وقف إيدان بمواجهة ضوء المصباح مبتسما ابتسامة قاسية جافة « هل ستصدقينى لو أنى قلت لك أننى قدمت للاحتفال بعيد ميلادك ؟ » .

« لا » .

أعلنت إنديا رفضها لسؤاله المستفز ورفضت الرد على ابتسامته الساخرة « إننى أعرف أن عيد ميلادى هو آخر شىء تفكر فيه » .

يبتسم إيدان ابتسامة عريضة : « قد تكونين مخطئة ، أنا أفكر فى عيد ميلادك وأتمنى لك كل السعادة فى يوم ميلادك الرابع والعشرين » تشعر إنديا بصدق حديثه ولكنها تقاوم هذا الإحساس وتدرك خطورته .

« بالتأكيد لن أقضى عاماً أسوأ من العام الماضى » تندم إنديا لحديثها عن العام الماضى خوفا من أن يحس إيدان بعذابها طوال هذا العام وقضائها الليالى

الطويلة وحيدة بائسة محبطة . لذا حاولت على الفور أن تمحو شكوكه فى انتظارها له .

« رغم أنه ينبغى أن أشكرك على ما فعلته . لقد أنقذتنى من الوقوع فى أكبر خطأ أندم عليه طوال حياتى . ولكنى متأكدة من أنك لم تأت إلى هنا للحديث معى فى موضوعات قديمة . فهل يمكن أن تحكى لى عن السبب الأصلى لزيارتك المفاجئة ؟ » .

« تتحدثين عنى وكأنى شبح أو مخلوق غريب ظهر فجأة » .

حقا إنه شبح الذكريات السعيدة وأحلى وأرق المشاعر .

« لا بل مثل مصاص الدماء أو الذئاب » .

« يا لك من شخصية خيالية » .

« هل ترينى حقا هكذا ؟ » .

تمنت إنديا لو أنها لم ترفع صوتها هكذا . لقد كانت تعد نفسها دائما بالحديث فى برود مع إيدان لو أنها قابلته ثانية . فإيدان يستحق منها أكثر من ذلك . لقد جرحها جرحا عظيما لن تداويه السنون والأيام .

« أجل ، يا سيد « وولف » . انا أراك مصاص دماء عاطفياً ، يفترس مشاعر الآخرين ، يأخذهم ويمتص دماءهم ثم يلقى بهم ويطرحهم بعيدا حين يسأمهم ولا يفكر فيهم ثانية أو فيما حدث لهم .

يسخر منها إيدان : « كيف هذا . بالتأكيد أنت لا تقصدين أننى حطمت قلبك . فأنت لم تردنى أنا انما أردت أموالى » .

يقترب منها إيدان . تستجمع « إنديا » قواها حتى لا تبتعد فى فزع . وترتبك أمام قوام « إيدان » الفارع وعرض منكبيه وأناقته ونظرات عينيه الزرقاوين . هذه هى أول مرة ترى فيها « إيدان » بملابس (كاجوال) واسعة ، تى شيرت قطنى وبنطلون جينز .

كان « إيدان » يقابلها دائما بملابس رسمية .

كيف له أن يأتى لزيارتها بعد كل ما حدث ؟ لكنها ليست ضعيفة ولن

تستسلم لغش وخداع « إيدان » بمجرد ظهوره فى حياتها .

« لقد حطمت قلبى ؟ وأنت تعرف جيدًا أننى أردت الزواج منك وأنت أيضا رغبت الزواج منى . لم تكن علاقتنا أبداً كما تصورتها».

« لكن ما أخبار حبيبك الجديد ؟ » .

« حبيبى ؟ تقصد من ؟ أوه !! تقصد « جيم » !! » .

« أجل « جيم » ، كم أنت لطيف معى يا جيم . لا أعرف كيف أشكرك . ماذا فعل معك جيم ؟ ما هذا الجميل الذى صنعه معك ؟ هل هو أعطاك أكثر مما كنت أستطيع تقديمه لك ؟ هل هو الثرى الثانى الذى وجدتيه بعدى ؟ » .

« فعلا أنت خرجت من حياتى . هل تذكر ؟ » .

« صدقينى إنه يحبك . ولكن هل هو يعرف كم سيكلفه حبك من مال ؟ » .

« إذا كنت مصراً على أن تعرف . فإن « جيم » موظف صغير بشركة (جنكنز، وكوران) .. شركة والدى » لم تعد إنديا تحتمل إهانات إيدان .

« أين والدك يا إنديا ؟ هناك صفقات ستتعاقد عليها سوياً» .

أقلقت نبرة صوته « إنديا » ، أحست إنديا بالتهديد فى نبرة صوته .

سألته إنديا فى حذر : « ماذا تريد أن تعرف ؟ » .

« لقد قدمت لزيارة والدك لمناقشة بعض الأعمال المهمة معه» . زادت مخاوف « إنديا » فقبل ليلة زفافها لم تكن العلاقة بين والدها وإيدان على ما يرام . فكيف ستكون الآن ؟

« لا أعتقد أن والدى يَودُ مناقشتك فى أى شىء !! » تزداد حِدة صوتها بتذكرها حالة والدها .

« أوه ، أعدك أنه سيرانى . وسيود الحديث معى كثيراً . إن الحكمة تقتضى تحديده ليعاد معى فى أقرب وقت ممكن . متى سيعود والدك ؟ » .

« ماذا تقصد بكلامك ؟ أية حكمة تتحدث عنها ؟ » تتجاهل إنديا سؤاله .

يرد إيدان فى استهتار : « كما قلت لك ، أنا أود رؤية والدك . ومن الأفضل بالنسبة له أن يتم لقاؤنا قريبا . ها !! متى سيصل والدك ؟ » .

لم تبتعد إنديا كثيراً عن الحقيقة . فوالدها أمامه وقت طويل كى يستطيع الحديث مع أحد ، حتى لو خرج قريباً من المستشفى .

ولكن أى عمل سيجمع بين أبى وإيدان ؟ « يمكنك ترك رسالة له إذا أردت. لو أنك أردت . لو أنك تقول لى ما تود مناقشته » .

يهز إيدان رأسه « لا ، أود أن يظل الأمر سرا بيننا نحن الاثنين - أنا وأبيك . أخبريه أنى حضرت لزيارته . سأراه قريبا » .

« هذه هى الرسالة ؟ هل تبحث عن شىء آخر ؟ » .

« لا » .

ترتبك إنديا باقتراب إيدان .

« أرجوك أن ترأفى بى يا إنديا . لن أستطيع الذهاب إلا اذا قبلتك يا حبيبتى» .

اقترب إيدان حتى أن إنديا تستطيع سماع أنفاسه وتحس حرارتها . وتذوب فى رائحة برفانه . تتورد وجنتا إنديا حين يلمس إيدان كفيها وخصرها وشعرها وصدرها . يقبلها إيدان .

« ليتنى كنت « جيم » ، حتى تشكرينى مثله » يقبلها إيدان .

« مر عام كنت اشتاق فى كل لحظة أن أراك يا إنديا » .

« ولكن أنا نسيت كل شىء يا إيدان » .

« ربما » يتضح فى صوته الشك فى نسيان إنديا له .

« لكن ، إنديا ، حبيبتى » .

« أنا لست حبيبتك . ماذا تتوقع منى بعد تخليك عنى ؟ » .

تتنهد إنديا . تفكر فى طريقة تقنع بها إيدان « لم أعد حبيبتك .

وكما ترى « جيم » يحبنى » .

لن ينزعج « جيم » لهذا . فهو يتمنى أن يرتبط اسمه باسم «إنديا» وإن كان ارتباطاً غير حقيقى « إنه الرجل الوحيد فى حياتى» .

لو سألها إيدان عن دليل حبها لجيم ، لن تستطيع فعل شىء .

لم يعد أمامها أداة واحدة أو وسيلة أخرى تحاربه بها .

لم تتوقع إنديا رد فعل إيدان على كلامها .

هز إيدان كتفيه فى لامبالاة « حسنا . كما تحبين » وجدت إنديا أنها لا تملك سوى النظر إليه وهو يبتعد ويتجه لسيارته ويختفى.

لو كان « إيدان » يحبها فعلا كما يقول . لما تصرف هكذا . لكن بدا على وجهه الغضب ونار الغيرة .

لكن رغم أنها تدرك أن إيدان يحاول خداعها ثانية برجوعه فيتألم قلبها وتزداد أوجاعها .

تفكر « إنديا » فى رغبة والدها وتتحير كثيراً فى معرفة سبب زيارة إيدان المفاجئة وتحس بوحدة شديدة ورعب لعدم توصلها لتفسير منطقى لهذه التساؤلات .

الفصل الثالث

مر يومان وما زالت كلمات إيدان تدوى فى رأسها (سأعود لزيارة والدك) وصارت كل مرة تسمع فيها كلماته تزداد مخاوفها . فهى لا تستطيع التوصل إلى سبب إصراره على رؤية والدها .

ومما يضاعف من آلام إنديا هو عدم قدرتها الحديث مع أحد ليشاركها قلقها ومخاوفها . فوالدتها تعانى ضغطاً شديداً فهى تقضى يومها وليلها مع والدها فى المستشفى . وأخوها الصغير « جارى » قلق على والدها .

لاشك فى أن إيدان سيعود فعلا . لقد أرسل لوالدها ثلاث رسائل على (الأنسر ماشين) . واستطاعت الهروب منه بالأمس بالكاد .. بالأمس سمعت جرس الباب وكادت أن تفتحه إلا أنها أطلت من النافذة قبل أن تذهب للردهة وتشاهد سيارته (جاجوار) الرمادية وتتجمد فى مكانها .

بعد لحظة ينزل إيدان من سيارته وينتظر . اختفت إنديا وراء الستارة البنفسجية الكثيفة واتكأت على الحائط قبل أن يرفع إيدان رأسه بشوانٍ لينظر ناحية نافذة غرفة نومها . ارتعدت إنديا وأحست أنه متأكد من وجودها . اختفت إنديا إلى أن سمعت صوت سيارته متجهة بعيدا عن المنزل . ظلت إنديا فى مكانها عدة دقائق بعد رحيل إيدان . واليوم الساحل خاوٍ وليست هناك سيارات واقفة . وها هى إنديا فى طريق عودتها للمنزل محملة بكثير من الخضروات والفاكهة . لاحظت إنديا عدم وجود أية سيارة غريبة فارتاحت وتأكدت من استحالة قدوم إيدان .

أوقفت « إنديا » سيارتها وبدأت تحمل الحقائب .

جاءها صوت من خلفها : « دعينى أساعدك » .

« أوه، أنا .. » .

كادت الحقيبة تسقط يد « إنديا » .

يتحدث « إيدان » فى لهجة رقيقة لا تصدق « إنديا » سماعها منه « احترسى يا حبيبتى . سأحملها عنك » .

« أشكرك لست فى حاجة لمساعدتك يا إيدان ؟ » .

وكأن إنديا استحضرت إيدان بمجرد تفكيرها فيه .

« من أين جئت يا إيدان ؟ » .

« من وستبرى ، إننى هناك فى زيارة لعدة أيام » يجيب إيدان وهو يدرى جيداً أن إنديا لا تقصد ذلك بالمرة .

« لكن سيارتك ... ؟ » .

« تركت سيارتى فى آخر الممر واكملت الطريق سيرا » .

« لم أر سيارتك هناك » .

ندمت إنديا على كلمتها . الآن سيفهم إيدان ترقبها لقدومه . يبتسم إيدان فى سخرية ، أكدت له فهم إيدان لكلمتها « لقد تركتها فى ركن بعيد ، خوفا من أن تصلها أيدى اللصوص والمتسكعين » .

يعرف إيدان جيدا أنها لو كانت رأت سيارته لاختفت بعيدا حتى رحيله .

« لم أرد أن تعرفى بوجودى مسبقا كما فعلت بالأمس وهربت » . أكد إيدان أفكار إنديا بدقة تصويره ما حدث بالأمس .

« كنت تعرف أنى موجودة ؟ » .

« بالتأكيد عرفت بوجودك . هل نسيت يا حبيبتى ، أنى أعرف غرفة نومك » .

تتورد وجنتا إنديا لمعرفة إيدان بوجودها بالأمس . وتتذكر هذا الأسبوع الذى قضته مع إيدان بمنزلها وعدم مفارقتها لغرفة النوم إلا للطعام ، حينما ذهب والداها وأخوها جارى فى زيارة للأقارب .

« إنديا ، هيا لنحمل الحقائب للداخل » .

يأخذ إيدان الحقيبة من يدها قبل أن تعترض إنديا على مساعدته لها ويأخذ إيدان الحقيبة الأخرى من السيارة . يسترعى انتباه إنديا قوته فالحقائب ثقيلة للغاية . ولكن هذا القميص البنى يكشف عن قوة ساعده وعرض منكبيه وقوامه اليافع .

ظلت إنديا تتخيل إيدان متأبطا ذراعيها . والأمان الذى ستحسه إلى جواره .

« إنديا » .

« تورد وجنتا إنديا لسماع صوت إيدان ولمسة المرح فى صوته وشكت فى أن إيدان يعرف ما تفكر فيه وهى تسير إلى جواره . يبتسم إيدان ابتسامه عريضة ...

« إذا لم نضع هذا الطعام بالداخل ، سيتلف المجمد منه فى هذا الجو الحار . وأنا أريد ... » .

تقاطعه إنديا : « أبى ليس بالداخل !! » .

كان هذا هو كل ما تستطيع قوله . ويشحب وجه إنديا « أجل . أعرف . لهذا انتظرت . ولكنى لم أكن أتوقع رؤيتك الآن . توقعت أنكِ تقضين اليوم كله فى عملك » .

« أنا لا أعمل » .

فى أول لقاء إنديا بإيدان كانت تعمل كسكرتيرة لدى رجل أعمال وسعدت جداً بمغادرتها للعمل حين أعلنت ارتباطها بـ إيدان وفى خلال العام الذى انفصلت فيه عن إيدان وجدت عملاً مؤقتاً لم تستمر فيه بعد أن توقف العمل لأسباب اقتصادية . أحست إنديا أن إيدان هو السبب فى سوء حظها .

« لذا فأنت لست مشغولة طوال اليوم » .

« أجل . ولكن أنت ... » .

يقاطعها إيدان ويحبط محاولتها فى إقناعه بالمغادرة : « أنا فى إجازة » .

« لم أعرف أنك فى إجازة ، فى العام الذى أعلنت خطبتنا فيه لم تقم بأية إجازات » .

« حينما كنا سوياً ... حسناً إنك ستجدين أشياء كثيرة تغيرت فى . والآن هل ستفتحى هذا الباب أم لا ؟ ».

تتمنى إنديا لو أنها لا تفتح الباب . ولكن نظرة عينى إيدان وخوفها المخاطرة بالطعام تمنعها الرفض . فتحت إنديا الباب « لم آتِ يا إنديا فقط لرؤية والدك ».

حسناً . لا تحاول ادعاء أنك أردت تجديد صداقتنا ».

« صداقة ؟ ألا ترى أن هذه الكلمة أبسط مما كان بيننا ولا تعبر عنه فى شىء ».

« كل ما كان بيننا هو كذبة بدأت وانتهت الآن ».

« هل هذه هى الحقيقة من وجهة نظرك ؟ ».

« إنها الحقيقة الوحيدة التى أعرفها !! » بل الحقيقة الوحيدة التى تستطيع أن تصرح له بها .

تبددت كل علامات المرح والسخرية على وجهه .

« إذن أنا لم أحطم قلبك ؟ كل ما حدث أنى سببت لك حرجاً اجتماعياً ».

« حطمت قلبى ؟ » تتماسك إنديا أمام ذكر إيدان حقيقة عذابها وآلامها « لا.. أنا لا أدعى ذلك على الإطلاق » تحاول إنديا إقناعه بمزيد من التبريرات .

« في الواقع ، يا إيدان ، كما قلت لك من قبل . أنا عاجزة عن شكرك فإذا لم تخرج من حياتى ، ربما كنا ارتبطنا بزيجة فاشلة ولا نجد حلاً سوى الطلاق للخلاص منها ».

« والآن الفرصة مناسبة للزواج من جيم ».

يتاب إنديا ألم فظيع ، فرد إيدان عليها برد يخلو من المشاعر .

ولكن عليها أن تؤكد صدقها لإيدان .

« هذا صحيح . جيم إنسان رائع . يتمنى لى السعادة . منذ العام الماضى ونحن نجمعنا صداقة حميمة وعائلتنا تتوقع إعلان خطبتنا قريبا ».

« مبروك يا إنديا . بالتأكيد والدك يراه زوجاً مناسباً أكثر منى ».

« إن عم جيم عضو برلمانى وجدته ابنة (مركيز) ».

« هل تودين أن أفرغ لكِ الحقائب » .

« لا حاجة لهذا » .

يتظاهر إيدان بعدم المبالاة بحديث إنديا عن جيم .

« أشكرك يا إيدان لقد أتعبتك فى حمل الحقائب » .

نظرت إنديا نحو الباب ، متوقعة أن يرحل إيدان . ولكن هز إيدان رأسه فى هدوء .

« لا ، يا حبيبتى لن أرحل إلا بعد أن أتحدث مع والدك » .

أخذ إيدان واحدة من الحقائب وبدأ يضع العلب والفواكه فى أماكنها . مما أعاد عليها ذكريات سابقة .

« لن يستطيع والدى مقابلتك . إنه ليس موجوداً هنا » .

لو أن « إنديا » تعلم أن « إيدان » بمعرفته مرض والدها ، سيتخلى عن فكرة الحديث معه ، لكانت أخبرته بالحقيقة . ولكن إيدان ووالدها « بروس مارشانت» دائماً كانا على خِلاف . فكيف يمكنها أن تترك إيدان يذهب لوالدها بالمستشفى . وهي لا تعرف فى أى شىء سيحدثه إيدان .

فقد لا يسعد والدها بحديث « إيدان » وهو فى هذه الحالة .

« متى يعود والدك ؟ » .

« لا أستطيع القول ».

« لن تستطيعى أم لن تنوى القول ، أيتها الأميرة ! » .

« لا أعرف متى سيعود والدى » .

« اذن سأنتظره حتى يعود !! أظن انه لن يمكث اليوم كله خارج المنزل » .

« لا ، من الممكن أن يقضى اليوم كله بالخارج . إنه سافر لقضاء إجازة نهاية الأسبوع فى ... » .

يقاطعها إيدان : « محاولة لطيفة يا حبيبتى ولكنها ليست فى أوانها ، اذا أردت أن تقنعينى ، فكان عليك أن تقولى هذا من البداية . علاوة على أنى رأيت سيارته

فى (الجراج) . وهذا يعنى أنه ليس بعيداً عن هنا .

لم يفت إيدان شيئاً . إنه شديد الملاحظة ، يصل لاستنتاجات سريعة ويدرس المواقف .

« فكر كما تحب . ولكن أنا لست حبيبتك . ولن أكون حبيبتك » .

« حسنا ، لابد أن أعترف بهذا ولكن ليس بالضبط » .

يضع إيدان آخر علبة فى البوفيه ويطوى الحقيبة .

« ماذا تتوقع منى يا إيدان ؟ محال أن أرتمى بين ذراعيك ... » .

« مازلت أذكر مرات عديدة تقابلنا فيها سوياً واستمتعنا وسعدنا بلقائنا » .

« أجل إنها مجرد ذكريات كما قلت يا إيدان » .

لم تكن إنديا فى حاجة إلى من يذكرها . فمجرد التفكير فى هذه الذكريات يزيد ضربات قلبها ويتسارع نبضها وتتلاحق أنفاسها .

« إن لى ذاكرة قوية جدا . ما رأيك يا إنديا فى تناول فنجان من القهوة ؟ » .

أضاف إيدان مفاجئاً إنديا :

« أليست لديك فكرة أفضل ؟ » .

« لا » .

تهز إنديا كتفيها وتنهض لإعداد القهوة .

« لكن قل لى لماذا تود رؤية والدى ؟ » .

« إنه مدين لى ببعض النقود » .

تفكر إنديا (أنت والمئات أيضا أبى مدين لهم) لاحظ إيدان تغير إنديا .

« لم تبدُ عليك الدهشة لما سمعتيه » .

« لا » .

كان أصعب شىء بعد مرض أبيها ، هو اكتشاف كم الديون المتراكمة عليه . ومطالبة البنك له بسداد جزء من القروض .

« لقد فوجئت باقتراضه منك أنت » .

« نقود ملوثة ؟ لا يحب الأشراف مثلك تداولها وتلويث أيديهم بها » .

« أوه !! أنت تمزح إذن !! لم يكن هذا هو الأمر الوحيد الذى أزعج والدى . ولكن ما سمعه عن مشاجراتك مع الشرطة » .

« إنها مبالغة صحف وجرائد . فإن أقربائى ليسوا بملائكة . ولكن لا لوم على المراهقين .

وأنت يا إنديا هل تتكرين أن والديك ، أو على الأقل والدك لم يفكر أبدا فى أن الميراث أفضل من الجِد والكفاح ؟ » .

« بالنسبة لحالتنا ، ليس هناك تعريف محدد للثروة ، وعلى ما أذكر أنه حين وفاة جدى وقعنا فى مشكلات كبيرة . عشنا حالة من الفقر . وإذا دققت الملاحظة ، فلن تجد هناك ميراثاً أو ممتلكات ... » .

« ووصلت أنا فى الميعاد المناسب » .

« أنت تعرف أنى لا أشارك والدى الرأى » .

« لا . أنت لا تهتمين بمصدر الأموال بقدر ما تهتمين بالثراء والخلاص من الفقر الذى تكرهينه » تكاد تختنق إنديا بحديث إيدان لها . وترجع بذاكرتها إلى الوراء ، منذ أكثر من عام فى الحفل الذى تعرفت فيه على إيدان .

فى هذا الحفل خرجت إنديا عن مشاعرها بسبب « روب » ، الذى جمعتها به علاقة استمرت أشهر قلائل . لكنه قاطعها فجأة ونسى حبه لها .

وفى محاولة من إنديا لنسيان أحزانها لجأت للشراب حين رأت روب مع امرأة أخرى فى الحفل . شربت إنديا كثيرا على غير عادتها . ورأت إنديا أن عدم خبرتها كانت السبب فى خداع روب لها واستهانته بمشاعرها .

اشتكت إنديا لصديقاتها « إنها قطعاً ابنة رئيسه فى العمل . جمعتهما المصلحة فقط ، لكن انظروا إليها ، شعرها ليس طبيعياً . ماذا يرى فيها روب ؟ » .

تجيبها صديقتها روز : « واجهى الموقف يا إنديا ، إنه يرى فى « بانيستر » أموالها ودخلها الخاص الذى يقدر بـ ١٠ آلاف سنوياً . يرى فيها مستقبلاً باهراً . أجل إن لأسرتك اسمها ولكنها لا تملك الدخل الذى يبحث عنه الرجال مثل روب » .

« وأى دخل ستملكه أسرتى وهى تصر على امتلاك أثريات ». تقول جين : «إن فتاة مثل بانيستر ليست هناك أية مشكلات تعانيها فى حياتها » ستخرجين لرؤيتها بانيستر وروب يرقصان : « وهذا الفستان العارى الذى ترتديه ، اشتراه لها (دادى) من أحدث عروض أزياء باريس بأغلى الأسعار الوهمية لا يقارن بأزيائنا ».

تضحك إنديا : « لابد أنك تمزحين . ففستانى هذا فصلته بنفسى . أخذت فستان سهرة لوالدتى وعدلت فيه حتى صار بهذا الشكل » تنظر إنديا ناحية روب وبانيستر وكأن سكيناً رشق فى قلبها « يا إلهى لقد سئمت الفقر والشقاء . وحان الوقت للخلاص من هذا البؤس . وسترون ما سأفعله . سأجد لنفسى زوجاً ثريا يأخذنى لعالمه البعيد عن المشاكل والقلق والهموم ».

ترد صديقتها : « إذن إيدنى من هنا ، هذا الحفل يحضره كبار الشخصيات والفنانون ورجال الأعمال والصحفيون . فاختارى الزوج الثرى الذى تبحثين عنه . هذه فرصتك فلا تضيعيها ».

« أجل هذا ما سأفعله !! ولكنى لن أنتظر حتى قدومه . فأول غنى أراه ، سيوقع به إغرائى وجمالى وأراهنكم أنه سيخطبنى على الفور ».

يقاطعها إيدان قائلا : « وهكذا أنت تتصورين الحياة ، أليس كذلك ؟ راجعينى ، إن كنت مخطئاً فى تخيلى ».

لا تجرؤ إنديا على رفع عينيها أمام إيدان : « أظنك لا تصدقنى. هل تصدق أننى كنت أمزح ؟ ».

« فى هذه الحالة ، أنت تضحكين على نفسك ».

« لم أكن أعرف انك كنت تسمعنا ».

« لا . فأنت فعلا عملت بخطتك واصطدمت بأول ثرى » يضحك إيدان فى اشمئزاز . تكتئب إنديا لسخريته منها .

« اننى مشفق عليك يا إنديا لعدم رؤيتك النافذة المفتوحة حين علا صوتك بالحديث عن الخطة اللعينة ووصلت أنا لتوى عند الباب الأمامى . كان لابد أن

ترى وجهك ساعتها وعلامات السعادة بادية عليه لتوصلك لرأى قاطع فى خطتك ضد الأثرياء . وها أنت فعلاً وصلت لمرادك !! ».

لم تعد إنديا تطيق إهانته لها . فكرت إنديا فى الرد عليه ليحس بعنائها . ولكن إيدان يذكرها بأحداث مريرة .

« وأنت يا إيدان كيف تصرفت معى ؟ خدعتنى باسم الحب وقررت الاستمرار فى غشى رغم تصورك عنى . أم أنك ستنكر ذلك الآن ؟ ».

يهز إيدان رأسه وينظر فى اضطراب لوجه إنديا وكأنه يطعنها بسكين حاد .

ترد عليه إنديا فى حِدة وجفاء وقسوة : « لقد خدعتنى باسم الحب أوهمتنى برغبتك الزواج منى . وحين مَللت منى رميتنى .. ».

« عليكِ اللعنة يا أميرتى . هل حان وقت المصارحة ؟ » ينهض إيدان ويلف حول المنضدة الجالسة عليها إنديا . ترى إنديا فى عينيه غضباً واضحاً وتهديداً . يمسك إيدان ذراعيها ، تتجنب إنديا النظر إلى عينيه الزرقاوين .

يمسك إيدان وجهها : « هل ستسمعينى ؟ أجل أنا لم أقاوم إغراءك . » ينظر إيدان إلى فستانها المفتوح الصدر « لن أنكر ذلك أبدا . ولو حاولت سيكون هذا غباءً منى . فرغم أنك مصاصة دِماء رخيصة تبحث عن الثراء بأى شكل ، لم يغير هذا من إعجابى بسحرك . تمنيت أن أنساك ولم أستطع . ولكنك أخطأت فى شىء ».

« لا ... » تُصدم إنديا بكلامه وتتمنى لو أنه لا يواصل حديثه . إذ أنها فهمت ما يقصده .

« أوه ، أجل ، يا أميرتى . أنتِ مخطئة . فأنا لم أملّك ولن أملّك ».

تهز إنديا رأسها فى يأس وتغطى وجهها بكفيها ، ولكن تجاهلها إيدان وواصل حديثه .

« أنا لم أنس سحرك للحظة واحدة . وأحتاجك الآن أكثر من قبل . وما حدث لم يغير شيئا من إعجابى بك واحتياجى إليك ».

يعانقها إيدان ويقبلها ويطوقها بذراعيه فى اشتياق ولهفة .. تدمع عينا إنديا .

الفصل الرابع

« لم أنسك أبداً يا إنديا ولو للحظة واحدة » يهمس إيدان . كان لكلمات إيدان تأثير غريب على إنديا ، ولتكرارها دوى مؤثر مثير . لم تعد إنديا ترى شيئا سوى عينيه الزرقاوين وتأثيرهما الساحر .

« وتأكدى أنى لم ولن أنساك أبداً ، يا حبيبتى » .

ترتعد إنديا أمام وعود إيدان لها . وتفكر فى أن هذا هو ما يخطط له إيدان أن تفقد اتزانها وتضعف أمام سِحره ورقة كلماته . لابد ألا تبدى إنديا خوفها أو توترها وإلا سيتأكد انتصار إيدان عليها . تُرطِب إنديا شفتيها حين تلحَظُ إطالة إيدان النظر إليها فى لهفة وشوق .

يهمس إنديا : « تعنى أنك مازلت تحتاجنى . عموماً هذا شىء متوقع . فنحن جمعتنا أحلى وأجمل الذكريات حتى آخر لحظة قبل انفصالنا فى ليلة الزفاف.

يرتبك إيدان ويقف صامتاً أمام جمال إنديا . تبتسم إنديا وتلتقى عيناها الخضراوان اللامعتان بعينيه الزرقاوين الساحرتين .

يمسك إيدان كتف إنديا ويديرها نحوه ويطوقها بذراعيه ويضمها إلى صدره ويميل برأسه ويقبلها . تقبله إنديا قبلة تُنسِى إيدان حقده وكراهيته لها ، قبلة أهبت أحاسيس إيدان نحوها . ضمها إيدان فى قوة وأسند رأسها إلى كتفه العريض ، تُلقى إنديا بيديها على قميصه . يمسك إيدان بيديها فى رفق .

« وأنت أيضا لم تنسى يا إنديا » .

تفكر إنديا (لا ، أبدا لم أنسك . كنت أحاول إقناع نفسى بنسيانى لك . ولكن حبك سكن قلبى) .

يفك إيدان أزرار قميصها ويقبلها ويقبل صدرها العارى ويتلمسه ويعانقها.

« كم أنت جميلة يا إنديا . وتتهمينى بنسيانك والملل منك . كيف؟ يا أميرتى!! » .

تسمع إنديا صوت أخيها : « إنديا !! أين أنت . لقد رجعت !!» .

« أوه !! يا إلهى ، جارى . لقد وصل جارى !! » .

تهض إيدان وإنديا في سرعة هائلة . أصلح إيدان هندامه وساعد إنديا فى ارتداء ملابسها .

جارى : « إنديا ؟ أين أنت ؟» .

إنديا : « هنا » يرتعد صوت إنديا « فى المطبخ » تسمع إنديا خطوات جارى. يمشط إيدان خصلات شعره الناعمة ... يفتح جارى الباب .

« لدى أخبار سعيدة ، يا إنديا !! » .

تدهش إنديا لعدم سماعها وإدراكها لقدوم أخيها إلا بعد ندائه عليها . وحتى الآن لم تفهم كلامه .

« إنديا . حينما كنت بالمستشفى فتح أبى عينيه . وطمأننى الأطباء .. » .

تسترد إنديا بعضا من قواها وتقاطع أخاها فى عجلة : «جارى. عندنا ضيوف » .

تلتفت إنديا بنظرها نحو إيدان ، الذى جلس يحتسى فنجان قهوة ولكنه يبدو شاردا .

« أوه .. هاى إيدان » .

تدهش إنديا لترحيب أخيها بإيدان وكأنه لا يذكر شيئا من أحداث العام الماضى .

إيدان : « أهلا جارى » تلحظ إنديا تجهم وجه إيدان وتدرك أن وراء هدوئه الخارجى تفكيراً عميقاً سريعاً . وبالفعل صدق حدسها.

« لماذا دخل والدك المستشفى ؟ » .

« ألا تعرف ؟ ألم تحك لك إنديا عن إصابته المفاجئة بجلطة ؟» .

« لا ، يا جارى . لم تواتها الفرصة لتحكى لى عن أخبار والدك» يتهكم إيدان.

تقاطعه إنديا الحديث : « لقد تصورت ... » تصطحك أسنان إنديا ويقاطعها إيدان الحديث .

« أعتقد أنه من الأفضل أن يحكى لى جارى بنفسه » تحس إنديا فى لهجته اتهامه لها بالغباء . ولو اعترضت إنديا ، ستزداد الأمور سوءا . فليس أمام إنديا خيار سوى السكوت .

يسأل إيدان مدركا ضيق إنديا : « وما أخبار والدك الآن ، كيف حاله ؟ » .

بينما يحكى جارى لإيدان عن حالة والده . تشغل إنديا نفسها بإعداد القهوة. لا لرغبتها ذلك ولا لرغبتها فى الترحيب بإيدان . وإنما للتظاهر بانشغالها .

تدرك إنديا أن إيدان يدرس جيدا ما يحكيه له جارى ويحاول الاستفادة منه لصالحه . أنهى جارى حديثه مع إيدان الذى أبدى عدم تصديقه لما حدث وقال : « لقد أحسست بشىء مثل هذا . ولكن سنسوى الأمر سوياً » . تضع إنديا فنجانها على المنضدة وتلتفت ناحية إيدان « نعم ، تقول نحن ؟ » تضطرب إنديا بابتسامة إيدان لها .

« أجل . أنتم فى حاجة للمساعدة . وأنا على استعداد لفعل أى شىء أستطيعه .. » .

« لا . أشكرك . لسنا فى حاجة للمساعدة » .

يتهكم إيدان : « هذا ما يبدو . ولكن من لحظة وصولى أدركت عبء الهموم عليكِ ، وتدهور حالة المنزل وأراضيه . وأنت نفسك لمحت بوجود مشكلات مادية » .

ينظر جارى إلى إنديا . تناديه إنديا .

« جارى ... لقد وعدت بمساعدتى فى غسل الملابس ».

« أوه !! لكن يا انديا .. ».

يؤيد إيدان إنديا : « سأنتظرك لحين الانتهاء من مهمتك ».

تفكر إنديا (لن يحدث هذا) بمجرد أن يخرج جارى . تطيل إنديا النظر بإيدان فى تحدٍ واضح .

« أشكرك لعرضِك المساعدة علينا » ترغم نفسها على الحديث فى هدوء بدلاً من أن تصفع إيدان . ولكن تفضحها نبرة صوتها «لكننا لسنا فى حاجة إليها ».

يبتسم إيدان : « هذا ليس عرضاً . يا أميرتى . فالعرض يقبل الرفض والقبول . ومساعدتى لكم ليست محل نقاش . لقد قدمت إلى هنا لزيارة والدك . ويبدو واضحاً عدم استطاعته الحديث معى الآن. لذا سأنتظر ».

« لذا فاقتراحك المساعدة مجرد كذبة أمام أخى . والواضح أن والدى مدين لك بالأموال وأنت تصر على عدم الخروج بدونها ».

يخفق قلب إنديا لرؤية قوام إيدان الفارع وقوة بنيانه وأناقته . وهو يقوم ليغسل فنجان القهوة .

« كم يقدر المبلغ المدين لك به والدى ؟ ».

« كثير ».

تعض إنديا على شفتيها . كان لابد أن تعرف ضخامة ديون والدها . فكل فاتورة تصلها وكل مطلب يكشف عن تدهور الوضع المالى وترديه .

« بالتحديد كم تبلغ ديون والدى ؟ ».

ربما تدفع إنديا المبلغ وتفعل أى شىء في سبيل الخلاص من إيدان ، ليخرج من المنزل ومن حياتها .

يأخذ إيدان وقته قبل الرد . ويجفف الفنجان ويضعه على الرف. تذكرت إنديا رغم محاولتها طرد هذه الذكريات من حياتها . صورة إيدان مرتديا «شورت» حافى القدمين ، وهو يعد الطعام ويؤكلها بيده خلال هذا الأسبوع

الذى قضاه معها ..

يخرجها إيدان من عالم ذكرياتها معه ، بحديثه التهكمى «أشك فى أنك تستطيعين دفع هذه الديون . حتى إذا كنت تعدين للدفع بطريقة ما ».

ينظر إيدان إلى سطح المنضدة المخدوش عمدا .

تعترض إنديا : « لا أستطيع . هذا مستحيل .. هل تعتقد أنى سأبيع نفسى... ؟ ».

يبتسم إيدان ابتسامة منعتها مواصلة حديثها : « إن كل ما يهمك هو الثراء . ففى العام الماضى فكرت فى بيع نفسك مقابل خاتم الزفاف ».

« لم يكن الأمر هكذا !! ».

« فكيف كان إذن ؟ فزواجنا بالنسبة لك يمثل الثراء والمستقبل الباهر والضمان المالى ».

لم يكن الزواج يعنى لها هذا . ولكن لن تجرؤ على توضيح ذلك لإيدان ، الآن. فإيدان رجل بارد المشاعر ، له أسبابه الخاصة فى إيقاع والدها في هذا المأزق. ولن يصدقها أبدا . وإنديا أيضا لا تريد الإفصاح عن مشاعرها .

« إنديا ، ربما أن كلاً منا استغل الآخر . أنت فكرت في استغلال أموالى واستغللت أنا جمالك . ولكنك أخطأت فى تصورك لأحد الأمور ، يا حبيبتى !! ».

« أى تصور ؟ » تتحدث إنديا فى حنق وغيظ لمناداة إيدان لها (بحبيبتى) . رغم مشاجرتها معه ومعارضتها له نداءها بهذه الكلمة تفكر « إنديا » إن الغلطة الحقيقية هى أنها لم تعرف « إيدان » جيدا . عرفت عنه فقط ما أراد هو أن تعرفه عنه وما أرادت هى أن تعرفه . لقد جرت إنديا وراء مشاعرها . وربما إيدان أيضا ارتكب نفس الخطأ .

يقترب « إيدان » منها ويطيل النظر إلى عينيها الخضراوين الواسعتين : «أنت لست بغبية يا أميرتى !! ولا عمياء . أنتِ تعرفين أنك أجمل امرأة فى العالم رأتها عيناى ».

تسعد إنديا بملاطفة إيدان لها يبتسم إيدان « لم أنسك أبدا يا إنديا . وأعرف أنك أيضا تبادليني نفس المشاعر » يلمس « إيدان » وجنتيها ويبتسم . تتورد وجنتا إنديا وتتلاحق أنفاسها ويخفق قلبها.

« ها لقد أثبتِ هذا الآن يا إنديا . وأنا متأكد من أننا سنقضي أسابيع هانئة سوياً .

كان لكلمات إيدان تأثير البرق على قلب إنديا .

ترفع إنديا رأسها : « أية أسابيع قادمة ؟ ».

يدرك إيدان أن إنديا سمعت وفهمت ما يقصده .

« أنت واقعة في ضيق يا إنديا . أنت في حاجة للمساعدة » .

« ربما صحيح . ولكن لا أطلب مساعدتك أنت . لا أريد مساعدتك . الموت أفضل عندي . أنا لا أريد شيئا منك » .

« يبدو أنني لن أستطيع العودة للندن الآن . لابد أن أقيم بـ (وستبري) لحين تحسن حالة والدك وتمكنه من الحديث معي . لهذا سأحتاج لمكان استقر به هذه الفترة » .

« هناك فنادق كثيرة . وانت بالفعل حجزت في واحد منها يا إيدان » تشك إنديا في رغبة إيدان الإقامة بالمنزل .

« ولكن هذا تبذير في حين وجود منزل به كل هذه الغرف » .

« هذه الغرف لا تملك شيئا منها . وليس من حقك أن تفكر في مجرد الإقامة فيها » .

لتؤكد إنديا رفضها تسير نحو الباب وتفتحه . ولكن لا يبالي إيدان بمقصدها .

« انى أرغب في الإقامة هنا » .

« وأنا قلت لك أنني أفضل الموت على هذا !! أنت رجل ثري وتستطيع الإقامة في أي مكان تفضله » تحاول إنديا التماسك .

« لكن لم أكن دائما ثريا . وهذه ستكون حماقة مني ، لو أنني أمتلك منزلاً

بسبع غرف وأقيم في فندق آخر » .

« حينما تمتلك منزلاً ... ؟ » تسأله إنديا متمنية أن تكون أخطأت الفهم .

« هذا المنزل . على وجه الدقة » ينهض إيدان ويغلق الباب .

« كنت أفضل أن تعرف هذا بطريقة أخرى . ولكن ليس أمامي خيار آخر . أنت تلومينني . مع أن والدك هو الأجدر بهذا اللوم » .

« أعرف أنك تكره الدي . ولكن كيف نلوم عليه الآن وهو ضعيف لا يستطيع الدفاع عن نفسه ... !! » .

« لا ، يا إنديا ، هذه هي الحقيقة . إنه السبب في هذه الورطة التي أوقع نفسه فيها وأوقعك » .

« أية ورطة ؟ » تتمنى إنديا لو أن الأرض تنشق وتبتلعها بدلا من أن تقف هذا الموقف أمام إيدان .

« حينما قلت أن والدك مدين لي . لم أكن اتحدث عن مئة جنيه أو ألفين . لابد أن تعرف أن الموقف أصعب . إنه الرهان » .

« أعرف غرامه بسباق الخيل » .

للأسف إن والدها يراهن على كل شيء ، وأي شيء .

« ولكن يا إيدان . لم يكن والدي ليطلب مساعدتك أبدا » .

« أعرف هذا . ولكن لم يكن هذا بيده ولم يكن أمامه خيار آخر.

كان والدك يقضي معظم وقته بكازينو (كارلتون) وكان يخسر الكثير من القمار . ولكن منذ حوالي ستة أشهر حالفه الحظ كثيرا .

ولكن (بروس مارشانت) فكر في استعادة ثروة الأسرة وتحقيق مزيد من المكاسب . فخاطر بكل أمواله وصفقة لم ينفذها بعد » .

تفكر إنديا في والدها الذي كان يبحث دائماً عن وسيلة للكسب السريع وإن أدت به في النهاية للخسارة .

لاحظ إيدان شحوب وجه إنديا : « استريحي يا إنديا . اجلسي أرجوك » يسحب إيدان كرسياً لها . ترفض إنديا الجلوس . تهمهم إنديا : « اكمل لي

الحقيقة المؤلمة » .

« فى النهاية خسر والدك كل شىء ووقع على كمبيالات كثيرة وكأنه يوقع على كروت معايدة . وخاطر بكل شىء يمتلكه كضمان .

« وكيف عرفت كل ذلك ؟» .

« أنا صاحب الكازينو . وكل الكمبيالات باسمى » .

لم تكن إنديا تعرف شيئاً عن تملك إيدان لكازينو . حينما قابلته من قبل أخبرها عن بحثه لمشروع استثمارى فى المنطقة . ولم يحك لها عن التفاصيل .

« والرهان ؟ » هل كان يحق لها السؤال عنه « لقد رهن والدك المنزل مقابل ديونه . وحين خسر أعطيته مهلة ستة أشهر . لهذا كنت أحاول الاتصال بوالدك طوال الأسبوع وانتهت المهلة منذ يومين. ومنذ السبت الماضى صرت أنا المالك الحقيقى للمنزل وكل ما فيه » .

الفصل الخامس

« هل أنت متأكد من صحة ما قلته يا إيدان ؟ »

سألت إنديا رغم أن نظرات عينى إيدان تؤكد أن البيت وكل ما فيه صار ملكاً له .

أكد لها « فريدك كوران » - شريك بالمؤسسة القانونية التى يعمل بها جيم - صحة هذا الادعاء .

لا تستطيع إنديا تصديق إيدان . ولكن عليها قبول الواقع . فكل ما قاله إيدان صحيح . لقد رهن والدها المنزل - المنزل الذى يأوى والدتها وأخاها - ليدفع ديونه .

على الرغم من أن إيدان فى آخر لقاء معها طلب منها أن تتأكد بنفسها من صحة ما قاله وأن تسأل محاميها . ذهبت إنديا وسألت بنفسها وتأكدت وزادت مخاوفها وهمومها ، التى قد تصل بها وبأسرتها للوقوف أمام القضاء .

لامت إنديا نفسها بمرارة ، كان عليها أن تصدق منذ البداية صحة ادعاء إيدان . فإيدان وولف رجل أعمال معروف بجديته غير المعهودة فى مجال الأعمال ... آه ، ما هذا الذى فعله بهم أبوها لقد وضعهم فى قبضة إيدان وتحت رحمته . وهو ما كان يتمناه إيدان .

اتصل بها إيدان ليسأل عن نتيجة تقصيها حقيقة تملكه المنزل. أجابته إنديا : « أجل . كلامك صحيح » .

فتحت إنديا الباب ورأت إيدان وقد عاود ارتداء الملابس الرسمية. إذ

يرتدى بدلة رمادية أنيقة وقميصاً أبيض وكرفت (رابطة عنق) حرير.

« إن كل ما أطلبه منك يا إيدان هو مهلة مدة أسبوع ؟ ».

« أسبوع ؟ ».

يتساءل إيدان في دهشة ويسير جائلاً بالردهة متأملاً المكان من حوله وكأنه صاحب المكان .. أو صار بالطبع صاحبه.

« لماذا تحتاجين كل هذا الوقت ؟ يكفيك ساعة ..

« ساعة ؟ ».

ليست القسوة والجفاء ببعيدة عن إيدان ولكن إلى هذا الحد من الكراهية والحقد !!

« لم أبلغ والدتى حتى الآن !! ».

لم تواتِ إنديا القدرة على تبليغ والدتها بهذه الحقيقة المؤلمة، وخاصة أنه ليس أمامهم بديل للمنزل. ووالدتها ليست فى حاجة لمزيد من الضغوط والهموم لتعرف أن منزل الزوجية مرهون وعليها الخروج منه.

« نحن في حاجة لمزيد من الوقت لحزم أمتعتنا الخاصة. أعرف أن البيت صار ملكاً لك. لكن هناك أمتعة شخصية .. ».

« وما أهمية حزم هذه الأمتعة ؟ ».

« لابد أنك تنتظر رحيلنا » لا تصدق إنديا رغبة إيدان فى بقائهم بالمنزل.

« من قال لك هذا ؟ كيف ؟ وإلى أين ستذهبون ؟ ».

ليست إنديا فى حاجة إلى من يُذكرها بذلك. لقد قضت يومها كله تفكر فى أى مكان يمكنهم الذهاب إليه مؤقتا، لحين عثورهم على مسكن آخر. وكيف ستدير مكانا لو أن والدها صرح له بالخروج من المستشفى ؟ « ليست هناك حاجة لمغادرتكم المنزل. إن كل ما أحتاجه هو مكان أنام وأعمل فيه. والمنزل واسع كبير ... ».

لا تكاد إنديا تصدق ما سمعته.

« اننى أدعوكم للإقامة معى. وأود ضيافتكم ».

بالتأكيد أن إيدان مستمتع بتملكه المكان وجعلهم ضيوفاً عنده، فى المكان الذى رفض والدها الترحيب به داخل جدرانه.

ترد إنديا فى استياء : « أفضل أن أنام فى مخيمات الإيواء العسكرية » يتحداها إيدان : « حسنا، إذا كان هذا اختيارك ... فلن أستطيع منعك. ولكن فكرى فى والدتك ».

تدهش إنديا لجرأته.

« كيف تتصورى يا إنديا أننى سأرميكم بالشارع. هل بلغت بى الوحشية لهذا الحد ؟ ».

ذلك الوحش الذى يترك عروسه فى منتصف حفل الزفاف !!

« لقد اتفقنا يا إنديا على أن زواجنا محكوم عليه بالفشل. ما رأيك فى أن نواصل مناقشتنا فى ارتياح ؟ ». يشير إيدان إلى غرفة الجلوس.

« إذا كان ضروريا ».

تفتح إنديا الباب لا إراديا، يتبعها إيدان ويجلس بالقرب من النافذة المطلة على الحديقة.

« دائما ما أتفق أنا ووالدتك على أن هذه هى أفضل غرفة بالمنزل. فهل تريدين زيادة همومها بتركها المكان. يا أميرتى إن آخر شىء تحتاجه والدتك فى هذه الأيام هو القلق والضغوط ».

يتحدث إيدان فى رقة وهدوء مثير.

« إنها لن تطيق معرفة أنك تتعقب والدى وتحاول .... ».

« لا ».

تتراجع إنديا عن حديثها فى ذعر لضيق إيدان برأيها فيه. تباعدت إنديا قليلا وتبعها إيدان وطوق وسطها بيديه.

« أنا لم أتعقب والدك، يا أميرتى. لو أنى أتعقبه. لعرفت بمكانه وبحالته الصحية. لقد منحته ستة أشهر مهلة لدفع المبلغ. ومضت الستة أشهر وانتظرته ولم يحضر. فقدمت أنا لأعرف ما حدث.

« أراهن أنك سعيد بحيازتك للمنزل وكل ما فيه ، ووضعنا تحت رحمتك لابد أنك سعيد بانتقامك منا ».

« ولماذا أنتقم ؟ لمحاولة والدك منع زواجي منك ؟ كيف وأنا لم أثمن الزواج منك ؟ ».

تعيد عبارات إيدان على إنديا جراح عام مضى لا يبالى بها إيدان إطلاقا .

« إنك تخدعين نفسك بتصورك هذا . إن والدك هو الذى أوقع نفسه فى هذه الورطة ».

« وأنت صاحب الكازينو » .

« وهل أنا فرضت على والدك الذهاب إليه ؟ وهل هددته بالقتل وأرغمته على الرهان بكل ما يملك ؟ .. » .

« لا . ولكن كان بإمكانك رفض الرهان بكل ما يملك » تلتقى عيناها الخضراوان بعينى « إيدان » الزرقاوين .

« أجل كان بإمكانى . ولكن في هذه المرة قررت إعطاءه درساً مهماً » .

« بل قل إنك انتهزت الفرصة لتسيطر علينا وتضع يدك على منزلنا . (جرانج) ... دون أن تضطر للزواج منى » .

أرجعتها كلماتها للذكريات غير المرغوبة حين رأى إيدان منزلها لأول مرة . وتعليق والدها على زيارة إيدان للمنزل وكأنها تسمع صوته الآن معها فى المنزل .

« لو سألتينى عن رأيى يا ابنتى لقلت لكِ إنه لا يريدك أنت وإنما يدفعه الطمع وما سيجنيه من ورائك » . ضحكت إنديا واثقة من حب إيدان لها : « لا يا والدى . هذا مستحيل . فإيدان يملك أموالاً طائلة . فلماذا سيطمع فى إذن!!؟».

وكيف نسيت إنديا انطباع إيدان فى أول زيارة للمنزل وإعجابه الشديد به .

تسأل إنديا إيدان الآن : « ما هذا يا إيدان ؟ هل كنت تخطط للاستيلاء على المنزل منذ رؤيتك له ؟ وكنت تعرف ضعف والدى أمام القمار ؟ » .

أدركت إنديا غضب إيدان وتحول عينيه الزرقاوين عنها وتحول بصره إلى

النافذة .

« أقر لكِ بأنى أعجبت بالمنزل بمجرد رؤيتى له » .

تفكر إنديا (أعجب بالمنزل وليس بى ...) .

« ولكن إذا كنتِ تفكرين فى أننى أردت الزواج بك لهذا . فلابد أن تعيدى تفكيرك إذن . فأنا يمكننى شراء منزل مثل منزلكم (جرانج) .

« منزل مثل جرانج ، وليس جرانج نفسه » .

تهمهم إنديا فى حنق . يقترب منها إيدان ويمسك بيديها « إنديا، إذا كان هذا ما تتصورينه عنى ... » .

بينما يتحدث إيدان يمسك بيديها ويذهب معها إلى الردهة ثم الحديقة . رغم محاولة إنديا عدم الذهاب معه ولكنها لم تستطع مقاومة قوة يديه .

« فلا بد من رؤيتك الأشياء كما هى » .

يلفتها إيدان نحو المنزل .

« انظرى !! » .

لم تكن إنديا فى حاجة للنظر للمنزل . فهى تعرف جيدا الحالة التى صار عليها المنزل . قِدم المبنى وانكسار أطر النوافذ إلى حد أنه إذا لم يتم اصلاح المنزل ، فسيتحول إلى حطام وأنقاض ، ويتحطم معه قلب إنديا .

« هل تظنين أن هذا المكان استثمارى ؟ إن كل ركن فيه ونافذة والحديقة فى حاجة إلى الإصلاح » .

تهمس إنديا : « ليس باستطاعتنا اصلاحه » .

« أراهنك ، أن هذا المنزل سينهار لو لم يتم اصلاحه على الفور. ألا يزال سقف المنزل ترشح منه المياه ؟ » يتهكم إيدان ويتحدث فى لهجة لا تستطيع إنديا تفسيرها .

لم تستطع إنديا سوى الإماءة فى صمت . فإيدان يدرك تماما حالة المنزل التى آل إليها بعد أن زارها فى بداية هذا الأسبوع وجلس معها فى المطبخ . عادت كلمات إيدان بها إلى ذكريات الأسبوع الذى قضياه سويا فى غياب والديها .

وكأنها كانت بالأمس . إلى اليوم الذى جال فيه إيدان المنزل وكل مكان فيه وقال:

« لو أنك يا إنديا رأيت المكان الذى ولدت فيه ، لأدركت روعة منزلكم » .

ذهل إيدان بأثرية المكان وبكم التحف والأنتيكات. يفتح إيدان أحد الأدراج ويطالع أوراقا : « إنديا تشارك فى الكورال بالمدرسة .. لم تحك لى عن موهبتك فى الغناء ، يا إنديا !! » .

ابتسمت إنديا « لم أرد الافصاح عن كل مواهبى مرة واحدة!!».

« إن المواهب التى عرفتها عنك حتى الآن كافية لاسعادى العمر كله » .

سألته إنديا وهى تكاد تلتقط أنفاسها ، ويخفق قلبها لسماع كلمات إيدان .

« هل أنا حصلت على أعلى الدرجات . أم ترانى نجمة موهوبة؟».

لا تكاد إنديا أن تصدق نفسها حين أومأ إيدان وهز رأسه .

أجابها إيدان فى جدية « لكن عليك بمزيد من التمرين » لاحظ إيدان قلق إنديا فابتسم ابتسامة عريضة : « إنك فى حاجة إلى تمرين فردى مكثف . وسأدربك أنا .. » .

ضحكت إنديا : « أنت ستدربنى ... !! » تدرك إنديا مزاح إيدان . قذفته إنديا بفستان روز . ضحكت إنديا إذ غطى الفستان وجه إيدان . رفع إيدان الفستان .

« ستدفعين الثمن يا إنديا !!».

يرقص قلب إنديا . وتمسح إنديا بإصبعها على شعر إيدان الناعم .

« لكن ما هذا ؟».

« فستان حفل ميلادى السابع».

« حفل عيد ميلادك السابع ...».

يفتح إيدان درجين آخرين ويهز رأسه فى دهشة :

« لابد أن والديك احتفظا بكل ملابسك منذ الصغر».

«أوه.....».

لم تستطع إنديا التركيز فى كلمات إيدان . بعدما رأت عينيه اللامعتين فى أشعة

الشمس وشعره الناعم وقوامه الفارع الذى لم يخفه قميصه الأزرق وبنطلونه الجينز .

« حتى أحذيتك الصغيرة » .

أخذت إنديا الحذاء من يد إيدان ووضعته فى مكانه . واقتربت من إيدان وأمسكت بيديه ولفت يديه حول وسطها .

« بالطبع . ألم يحتفظ والداك بمقتنيات طفولتك » .

أحست إنديا بالندم على توجيهها هذا السؤال لإيدان الذى ابتعد مهموماً .

« إن والدىّ لا يهتمان بهذا . إنهما ليسا مثل عائلتك .. لقد انشغلا بأشياء أخرى .

تمنت إنديا لو أنها تسأله عن والديه ؟ وسبب تعمده عدم الحديث عنهما ؟ ولكنها تراجعت عن سؤاله فى آخر لحظة . فهذه هى أول مرة تراه فيها يتحدث بهذه الطريقة . لقد صار وكأنه إنسان غريب عنها تراه لأول مرة . وهى لا تعرف كيف يمكنها تهدئته .

اقتربت إنديا من إيدان واتكأت برأسها على كتفه . فأحست بتبدد توتره ونسيانه ما كان . فابتسمت . مسحت إنديا بيديها على صدره وفكت أزرار قميصه وعانقته . قبلها إيدان .

« مهلاً يا أميرتى . حينما أكون معك لا أعرف التفكير فى أى شىء » .

« لا تفكر يا حبيبى » يحملها إيدان بين ذراعيه ..

لا يزال إيدان يلحظ المنزل وما ينقصه « هذه الأسلاك ليست فى مكانها . لابد من إصلاحها فورا والإيتاء بكهربائى مناسب » .

تعرف إنديا أنه حتما سيفعل ذلك . فما من شىء ينوى إيدان فعله إلا وينفذه فوراً .

« وأنت تتصورين يا إنديا أنى تحايلت وخططت للاستيلاء على المنزل » .

« إيدان ، هذا منزلى الذى تتحدث عنه . أرجوك لا تنسى » .

علا صوت إنديا فى مرارة وحنق . لقد أخرجها إيدان بنفس الطريقة من

حياته بعد أن ملها .

« بيت من ، يا إنديا ؟ » .

« أرجوك كفاك الحديث فى هذا الموضوع السخيف » .

كادت إنديا أن تصفعه ، ابتعد إيدان .

« إنديا ... » .

تجاهلت إنديا نداءه الرقيق لاسمها .

« إنديا . أنا آسف » .

لا تصدق إنديا اعتذار إيدان لها . هل هو حقاً يعتذر عن تصرفاته معها ؟

«أعرف يا إنديا قدر هذا المكان بالنسبة لك . وأعدك أننى سأعتنى به » .

« أعدك » كلمة قادرة على تخفيف توتر إنديا . لو كان لهذه الكلمة وجود فى علاقة إنديا وإيدان لخاطرت إنديا بحياتها . واضح أن إيدان يفى بجميع وعوده . إلا أهم الوعود المرتبطة بالحب والزواج .

لهذا لم يعدها إيدان ابدا بالحب والإخلاص حتى الموت .

« إننى أنوى اصلاح المنزل فقط . ولن أقوم بتجديد شىء فيه ، فهل تصدقينى » .

تجيب إنديا فى سهولة « أجل . أصدقك . وأثق باهتمامك بالمنزل » .

تفكر إنديا (أثق باهتمامك بالمنزل وليس بى وبقلبى) « أشكرك يا إنديا . كنت أرى عينيك تقولان شيئا غير هذا » .

ترفع إنديا رأسها فى دهشة ، تلحظ تغير نظرات عينيه وكأنه يبادلها نفس المشاعر . مما منحها القوة لتسأل إيدان السؤال الذى لم يفارق عقلها لحظة واحدة.

« هل كنت ترغب الزواج منى ؟ أم أنك كنت تنوى خداعى من البداية ؟» .

فكرت إنديا للحظة فى أن إيدان لن يجيب على سؤالها لكنه ابتسم ابتسامة عريضة أراحت قلبها بعض الشىء .

« كنت أتصور دائما أن الزواج أمر مستحيل بالنسبة لى . ولكنك كدت تجعلينى أغير رأيى عنه . لقد سحرتينى يا إنديا من أول مرة قابلتك فيها ومازلت

تسحرينى . وأنت بالتأكيد نفس المشاعر » . تتهكم إنديا : « سحر !! لاشك أنك تبالغ» .

يبتسم إيدان وتلمع عيناه الزرقاوان : « لست مضطرا للمبالغة . فأنا مازلت أذكر كل شىء » .

« إذن علاقتنا تمثل مجرد ذكريات بالنسبة لك » يمسك إيدان يديها « ليس لها وجود الآن .. نحن لم نقرر بعد مكان إقامتى وأمى...» .

يتحدث إيدان فى هدوء : « أى قرار ؟ ستقيمين أنت ووالدتك هنا» .

يحملق إيدان النظر فى نوافذ الطابق السفلى ويتجهم لرؤيته . تلاشى طلاؤها وظهور أخشابها .

« هل ستحكين لوالدتك ؟ » .

« لو اضطرتنى لذلك » .

« إذا كنت لا تفكرين فى والدتك . فكيف ستتصرفين مع أبيك . لقد سألت فى المستشفى هذا الصباح وأخبرونى بأن والدك على وشك الخروج من حالة الغيبوبة . فقد تكون الأيام القادمة حرجة .

« أنت سألت ؟ ولكنهم لا يصرحون بهذه المعلومات لأى شخص!!» .

« لكن ، بالطبع ، إيدان وولف ليس كأى شخص . وهم صرحوا لى بهذه المعلومات بعد أن عرفوا أنى خطيبك . وسأكون خطيبك خلال الأسابيع القليلة القادمة » يلحظ إيدان علامات الغضب على وجه إنديا ويجيبها فى هدوء « ليس أمامنا حل سوى هذا يا إنديا!!» آسف يا أميرتى هذا الرأى ليس محل النقاش . فى مقابل سماحى لكم بالاقامة معى . لابد أن أكون فردا من أفراد الأسرة» .

« لا » ترى إنديا أن هذا طلب غير معقول متجاوز « أوه ، أجل ، يا حبيبتى . هذا هو الحل الوحيد . لابد أن تصدق والدتك خطبتنا وإلا ستشك فى حدوث شىء» .

« لا . لن أستطيع » .

يواصل إيدان حديثه متجاهلاً رفض إنديا « لا أن نقنع الجميع بخطبتنا .

وستلعبى دور الخطية المحبة ».

لا تستطيع إنديا موافقته . ولكنها إذا لم تفعل سيؤول مصيرهم إلى الشارع ، هى ووالدتها وأخوها .

تدرك إنديا أن إيدان قادر على تنفيذ تهديده . فإيدان شخصية قوية تستطيع تدمير أعدائها ، أو من لا يروق لها .

« لن أنام معك » تصرخ إنديا .

« كان ينبغى عليك الانتظار قبل الاسراع بالرد على سؤال لم يوجه إليك .. ماذا تتصورين عنى يا إنديا . إن كبريائى يمنعنى استعباد النساء أو إرغامهن على مالا يطقنه .

سعدت إنديا برأى إيدان . وابتسمت . التقت عيناها الخضراوان بعينى إيدان الزرقاوين .

يبتسم إيدان : « ولكنى متأكد من أنه علينا الانتظار . فليس هناك مستحيل . ولابد أنه سيجمعنا الحب ».

تعترض إنديا وتستفزها ثقة إيدان : « إذن ستنتظر حتى أمد بعيد للغاية . أبعد من تجمد النيران . لن يجمعنا الحب أبدا ..».

« انت تعرفين معنى الرفض عند بنات حواء » يحذرها إيدان : « ربما تندمين» والآن بعد تسويتنا الأمر . سأذهب لإحضار حقائبى من السيارة . وسترينى غرفتى » .

« هل أحضرت حقائبك ؟ !! » .

« أجل .. طبيعى أن أحضرها معى » .

يتوجه إيدان لسيارته ويعود مبتسما ابتسامة عريضة ساحرة .

« لقد أنهيت الحجز بالفندق » .

تتجمد إنديا ويشحب وجهها : « هل كنت متأكد من إقامتك هنا لهذا الحد؟» .

يهمس إيدان : « لم أكن متأكداً من نفسى . ولكن متأكد منك انت . فأنا

لست مثل أبيك . أنا أراهن على كل ما هو أكيد للغاية ولا أضع أموالى إلا فى مواضع تحقق لى الفوز المحقق .

www.elromancia.com

الفصل الثالث

« جارى ، أين أنت ؟ » .

تفاجأ إنديا لغياب أخيها حتى هذه الساعة . وتبحث عنه فى غرفة نومه . وفى الردهة . فكرت إنديا فى البحث عنه فى الحديقة ، ولكن لفت انتباهها صوت الضحكات خلف المنزل فتوجهت لباب المطبخ .

« أنت مختفٍ هنا يا جارى وأنا أبحث عنك فى كل مكان .. جارى » .

تفاجأ إنديا بعدم وجود جارى وحده . كان معه إيدان فى فترة استراحة بعد اشرافهما على اصلاح وترميم المنزل . وقضيا استراحتهما وهما يلعبان كرة قدم . تصبب العرق من جبهتهما واتسخت بنطلوناتهما الجينز .

بمجرد ظهور إنديا رأتهما يختلفان على إحراز الأهداف ويتعانقان . والكرة ترتطم بأحد جنبات الشبكة .

يصرخ جارى ويرفع يديه « جول ٣ - صفر !! » .

إيدان : « لا ، هذا ليس هدفاً . ألست معى فى هذا ؟ » .

أدركت إنديا بعد ثوان أن السؤال موجه لها . يحملق إيدان النظر فى وجهها بينما ينهض واقفا ، ويربت على كتف إنديا .

يخفق قلب إنديا لرؤيته « إيدان » فى قمة مرحه وكأنه من عمر أخيها . تملأ وجهه ابتسامة رائعة . وتلمع عيناه . وكأن سهماً نفذ إلى قلبها .

« أنا لا أعرف . لم أر هذا الهدف » .

يصرخ جارى : « لقد سجلت هدفاً » يضحك إيدان ويمسح بيديه على شعر

جارى مطبلاً النظر إلى وجه إنديا .

« أول مرة ، أرى هدفا بهذا الشكل . وأختك تعرف ... » .

« لا ، أنا لم أر شيئا » .

لم يكن هذا صحيحا . فإنديا لم ترفع عينيها عن إيدان منذ قدومها . بعد أن أحست برجوع إيدان إلى حيويته ومرحه .

رجعت إنديا بذكرياتها إلى يوم تجولها مع إيدان وتناولها الآيس كريم الذى تحبه . واختطافها آيس كريم إيدان .

جرت إنديا وتبعها إيدان إلى أن ابتعد عن البحيرة التى تناولا عندها غداءهما. انزلقت إنديا بين حشائش التلال ، لحقها إيدان على الفور وكادت أنفاسه تهرب منه حين مالت إنديا على صدره وقدميه .

أحست إنديا بقوة يديه حول وسطها . ابتسمت إنديا .

دلك إيدان قدميها فى رفق . أحست إنديا لهيب أنفاسه . قبلها إيدان .. أرجعها صوت إيدان إلى الحاضر « إنديا ؟ » .

تنهد إنديا . وتدرك وقوف إيدان إلى جوارها ويلف انتباهها قوامه الفارع وقوة بنيته وسحر عينيه وجمال ابتسامته . يرفع إيدان خصلة شعره الناعمة عن عينيه .

« هل كنت تريدين شيئاً يا إنديا » .

« أنا .... » .

آه ، لقد نسيت إنديا سبب مجيئها . كل ما تذكره هو حاجتها لأن تجفف عرق إيدان بأصابعها الرقيقة .

تذكرت إنديا بعد دقائق « لقد وعدت يا جارى بأنك ستساعدنى فى إعداد العشاء هذه الليلة . وهناك كم هائل من البطاطس فى حاجة إلى التقشير » .

« لكن ، يا أختى .... » .

« لا ، لن أقبل أعذاراً » لاحظت إنديا مراقبة إيدان لها ، فخافت أن تظهر أحاسيسها ومشاعرها على وجهها وأن يدرك « إيدان » ارتباكها أمامه . تعمدت

إنديا الحديث فى حدة حتى تخفى ارتباكها : « اسمع يا جارى إن الطعام لا يُطهى وحده . اتبعنى فورا إلى المطبخ بعد أخذ حمامك » .

جرت إنديا مسرعة إلى المطبخ وكأنها فرصة للهروب من إيدان واستجماع قواها وسيطرتها . إن من يراها الآن يعتقد أنها كانت معها فى المباراة . سألت إنديا نفسها إذا كانت ستستطيع التعود على اقامة إيدان فى منزلها ؟ لا ، فى منزله ؟ لقد مرت خمسة أيام الآن منذ قدوم إيدان وإنديا تحس قرب تعودها على وجود إيدان بينهم .

أخذت إنديا تعد الآنية وفكرت فى تقشير البطاطس بنفسها إلى أن فتح باب المطبخ .

« أخيرا !! جئت يا جارى . لماذا تأخرت هكذا ؟ » .

« لقد قلت لى أن أحضر بعد أخذ حمامى » لم يكن هذا صوت جارى . ارتعدت إنديا .

« إيدان !! ظننت أنك ... » يقاطعها إيدان .

« جارى . ولكن جارى يريد متابعة مسلسل تليفزيونى مثير . فهل يمكن أن تقبلينى مساعد طباخ لك ؟ » .

« لكن أنت ... » .

زاد اضطراب إنديا الآن أكثر من ذى قبل . لقد أخذ إيدان حمامه وتفوح منه رائحة برفان طيبة ، شعره أصفر لامع ملىء بالحيوية والنشاط .

وإنديا يتدلى شعرها الذهبى على كتفيها ، زاد من جمال عينيها الخضراوين قليل من (المسكرة) ، كشف فستانها الأخضر عن ساقيها الطويلتين البيضاء .

« يبدو عليك الإرهاق الشديد . فلماذا لا تطلبين المساعدة هذه غلطتك يا إنديا » .

أخذ إيدان (مبشرة البطاطس) من يديها .

« لا . أنت لا تستطيع ... يا إيدان » .

أجاب إيدان فى هدوء : « جربينى ، أنا بارع فى تقشير البطاطس » .

لا يدرك إيدان أسباب اعتراض إنديا على مساعدته لها . وهى متأكدة من ذلك .

« أنا متأكدة من أنك بارع ، ولكن ... » .

« لكن . ماذا ؟ » لم تستطع إنديا الحديث بعد اقتراب إيدان منها .

« من السخيف أن تساعدنا . وأنت صاحب المنزل الآن » .

« كيف تفكرين بهذه الطريقة ، يا إنديا ؟ يغضب إيدان وتتغير تعبيرات وجهه إلى برود وكبرياء .

« قولى لى ... » يعاود إيدان الحديث فى بساطة وهو يقشر البطاطس فى عجلة وكفاءة كبيرة تخفى حقيقة مشاعره الداخلية .

« هل يحس أحد منكم بعدم ترحيبى بإقامتكم هنا ؟ أو أحس أحد منكم أننى أطلب منكم مقابل اقامتكم هنا ؟ » .

« لا » لم تستطع إنديا قول شىء آخر . فوالدتها لم تشك فى تغير ملكية المنزل على الاطلاق أو تغير شىء .

ولكن إنديا وحدها تدرك ما حدث وتكتم الحقيقة كلها . كلما وقفت إلى جانب إيدان تذكرت حقيقة ما حدث وتعجز قدماها عن حملها . رغم انه حين قدوم والدتها من المستشفى اضطرت لسماع تفسير إيدان لوالدتها سبب وجوده . وهى تعرف أن صمتها يؤيد حديث إيدان الكاذب .

قال إيدان : « لقد قدمت للمدينة فى رحلة عمل » لو لم تكن إنديا تعرف حقيقة هذا العمل ، لاعتقدت ان وجود إيدان بـ (وستبارى) جاء مصادفة .

« ولكنى سمعت عن مرض والد إنديا ، وصدمت . فقررت القدوم إلى المنزل لتقديم أية مساعدة أستطيعها . وبمجرد أن رأيت إنديا ثانية أدركت خطئى الذى اقترفته فى العام الماضى ... » .

صدقت والدة إنديا ما حكاه إيدان وأنه ندم على ما حدث منه فى حق إيدان .

« لقد كان مجرد خلاف سخيف بينى وبين إنديا . فأنت تعرفين مدى التوتر الذى يعانيه المقبلون على الزواج . وإنديا سامحتنى . أليس كذلك يا حبيبتى ؟ » .

تنظر إليها والدتها فى سعادة وأمل . عرفت إنديا أنه ليس أمامها خيار سوى الايماءة بالموافقة . ولكنها أحست باشتراكها مع إيدان فى خداع والدتها التى أخذت تبارك لهما زواجهما ، متمنية لهما التوفيق والسعادة .

سألت والدة إنديا : « وهل ستبارك زواجكما قريبا ؟ » . أسرع إيدان بالإجابة حتى لا تملك إنديا سوى التصديق على كلامه : « حسنا . نحن نفضل عدم الاستعجال . فالأمر مفاجىء وغير متوقع .. » .

« لذلك لابد من التروى قبل أن نلزم أنفسنا بأى شىء . فما حدث فى العام الماضى كان سببه التعجل وعدم منح أنفسنا الوقت الكافى لمعرفة كلامنا للآخر . لذلك اذا لم يكن هذا يضايقك ، سنفضل التأخير بعض الشىء حتى نتأكد من حقيقة مشاعرنا » .

بالطبع صدقت والدتها ماروا إيدان ، الذى أخذ يعتنى بإصلاحات المنزل ويعرض تحمل مسئولية وظيفة والد إنديا .

لم تستطع إنديا اتخاذ موقف لكشف حقيقة ما رواه إيدان . كانت إنديا تتألم حين ترى قبول إيدان لامتنان والدتها وشكرها له . لكن يصعب على إنديا الإفصاح عن الحقيقة التى قد تدمر سعادة والدتها . صرحت إنديا لإيدان الآن : « لا لم تسىء معاملتنا يا إيدان . لكن ما تقوله أو تفعله لا يهم مادمت أعرف الحقيقة القاسية . فكلانا نعرف أن هذا وهم وسيأتى اليوم الذى تنكشف فيه الحقيقة وتحطم سعادة والدتى » .

نظر إليها إيدان فى قلق ، حاولت إنديا تجاهل نظراته ومواصلة حديثها : « أقصد ، بصراحة يا إيدان . متى سنكشف الحقيقة ... » . يقاطعها إيدان ، يفكر فى ايجاد الرد المناسب على سؤال إنديا . رغم تأكد إنديا من معرفة ما ستؤول إليه الأمور وتصوره لما سيكون .

« حسنا . هذا يعتمد عليك يا إنديا » .

« علىّ أنا ؟ » .

يومىء إيدان بينما يضع البطاطس التى انتهى من تقشيرها فى قدر .

« إذا لعبت دورك جيدا ، لن تعرف والدتك بما حدث . ولكن إذا شكت فى شىء ... ».

لم يكمل إيدان عبارته ، فهمت إنديا مقصده وتهديده « وتقصد بأداء دورى تمثيل دور ... ».

يدرك إيدان تجنبها ذكر كلمة الحب لوصف دورها .

يتهكم إيدان : « أقصد إنه لن يصدقنا أحد إذا داومت الاختفاء بالمطبخ كل ليلة ... ».

« أنا لا أختفى !! » .

تتجه إنديا نحو الموقد وتتابع تقلب الخضار المطهو . لتخفى تعبير وجهها وتورد وجنتيها عن إيدان .

« ألا ترين يا إنديا أنه بتعاوننا سويا ، سنستطيع إقناع الآخرين ؟ » .

يضع إيدان البطاطس بعد أن أنهى تقشيرها فى القدر .

إن وجود إيدان معهم على مائدة الطعام يذكرها دائما بأحلامها التى طالما تمنتها فى العام الماضى . لكنها كانت تحلم بإيدان زوجا لها ، لا كشخص متطفل حقود يستولى على منزلهم ويحطم أحلامها ويطعنها بسكين حاد فى قلبها .

« إنى أراك دائما يا إيدان مشغولا بتجديد المنزل إما فى الردهة أو المكتب . وتتوقع منى بعد ذلك مناقشتك فى التجديد » .

« كنت اتصور انك ستسعدين بمناقشتى فى تجديد المنزل .. لم أرد فرض نفسى على مشاعرك وأحاسيسك . فناقشتك فى تجديد المنزل » .

« إنه منزلك » .

« وأنت تتمتعين بذوق عالٍ . وتعرفين تحويل المنزل إلى جنة . وهو ما لا أعرف عنه الكثير .

ذكرها تعليقه هذا بحديثه عن والديه . التى تمنت إنديا أن يطول . ولكنها خافت أن تغضبه بالسؤال عن شئون يراها خاصة به . أدركت إنديا انتهاء إيدان من تقشير البطاطس .

« أشكرك على مساعدتك لى هذه الليلة » .

يلقى إيدان بالمقشرة . مما أغضب إنديا .

« لست فى حاجة إلى امتنانك لى » يهدأ إيدان ويحدثها فى لطف « صدقينى أن تقشير البطاطس فقط سيحد من خبراتى فى عالم الطهى » .

« هل تحب الطهى وتجيده ؟ » .

« صدقينى أنا بارع فى الطهى . وكى أثبت لك ذلك . سأطهو عشاء الغد . لا ترددى يا أميرتى » يرى إيدان الإجابة على كلامه فى وجه إنديا . ولكنه لا يدرك أسباب عدم تصديقها إجادته فن الطهى .

« سأعد لك مفاجأة كبرى » .

« لقد فاجأتنى بالفعل » .

أدركت إنديا عدم معرفتها بإيدان جيدا . كل ما كانت تعرفه عنه هو وسامته وقوامه الفارع وجاذبيته ورقة معاملته ولطفه وضمان مستقبل سعيد معه .

مما اثبت لها أن من يحب لا يرى عيوب حبيبه . فإنديا أحبت إيدان بجنون أعماها عن حقيقة شخص إيدان إلى أن أفاقت ليلة زفافها على حقيقة شخص إيدان !!

الآن ، صارت إنديا ترى إيدان شخصاً حاداً قاسيا مخيفا بارداً حقوداً يظلم من هو أضعف منه .

ولكنه فى نفس الوقت ذلك الرجل الذى يُسعد أخاها ، بتمضية وقت فراغه معه فى مباراة كرة قدم . ويعاونها فى شئون المنزل دون أن ينقص هذا من رجولته شيئا .

« أنت تجيد فن الطهى ؟ » .

« ليس هذا فقط . وإنما أستمتع به أيضا » .

لم تنتبه إنديا لإجابة إيدان . إذ اقترب منها إيدان وعانقها .

« سأثبت لك براعتى فى الطهو » .

« أنت رجل ثرى وسيم موهوب . بارع فى كل شىء » يعانقها إيدان . يخفق قلب إنديا وتتلاحق أنفاسها . يقبلها إيدان « إن الإنسانة التى سيختارها قلبك ، ستكون أسعد نساء العالم حظا . أنت زوج مثالى يجيد فن التعامل مع المرأة » .

يبتسم إيدان ويرقص معها حتى الصباح ....

الفصل السابع

« إن جراحى دائما تحذرنى من الحب . يا إنديا » .

تتهكم إنديا : « جراح . هذه الخدوش الصغيرة فى حياتك تسميها جراحاً » .. إنها خدوش لا تقارن بالجرح الذى سببه لها إيدان .

« آه ، ما الذى ينبغى علينا فعله بعد ذلك ؟ » تدهش إنديا لتغيره الموضوع : « نعم ؟ علينا إعداد المنضدة . ولكن لا عليك سأعدها أنا » .

يتجاهل إيدان تعليقها وينهض ليفتح أحد الأدراج ويأخذ ملاعق وسكاكين ويضعها على صينية .

« إيدان ، هل كانت هناك امرأة فى حياتك ... ؟ » .

« لا ، ليست هناك امرأة بعينها » .

« هل ترى أن هذه فرصة للرجوع بالزمن للوراء » .

كان هذا ما تتوقعه إنديا . فصور إيدان على أغلفة الصحف قادرة على وقوع جميع نساء العالم أسيرات وسامته .

« ولم لا ؟ فالسعادة فى معرفة الكثيرات أسهل من السعادة الزوجية بكثير » .

« أسهل بالنسبة لمن ؟ ربما أنت . ولكن بالنسبة للمرأة التى تستغلها الأمر أصعب بكثير » .

أدركت إنديا خطورة سؤالها . فهى ادعت وجود علاقة بينها وبين جيم لتوهم إيدان بعدم انشغال قلبها به . ولكن بالتأكيد إيدان لاحظ عدم وجود جيم

www.elromancia.com

فى حياتها الأيام الماضية .

« إن النساء هن اللاتى يستغللن الرجال . وأنت آخر امرأة أتوقعها تتحدث عن الاستغلال ».

« أنا لم أستغل ... ».

رفع إيدان رأسه فجأة وأطال النظر إلى إنديا : « ألم تكونى تعرفى أنى رجل ثرى ؟ ألم ترى فى الوسيلة لتحقيق أحلامك وتخليصك من الفقر ؟ »

تقاطعه إنديا فى حده : « أجل !! أجل !! أجل !! »

أرادت إنديا أن توقفه عن توبيخها . فأقرت بصحة شىء لا تعرفه . كما أن إهانات إيدان لها جاءت مفاجئة غير متوقعة الآن «أجل . لقد قلت أن هذه هى رغبتى فى البداية ... » تتحدث إنديا فى هدوء .

تخونها أعصابها حين رؤيتها ترك إيدان إعداد المنضدة واقترابه منها . تصورت إنديا أنه سيضمها بين ذراعيه . ولكنه فى آخر لحظة ذهب لأخذ كوب على رف واقع خلفها .

يفتح إيدان الحنفية فى عنف ويملأ الكوب ويشرب .

« ماذا حدث بعد ذلك يا حبيبتى ؟ هل وقعت فى حبى ونسيت أموالى ؟ هل صرت أنا أهم شىء فى حياتك ؟ » تحدث إيدان بعد صمت طويل .

« هل ستصدقنى لو قلت لك أن هذا هو ما حدث بالضبط ؟». تلتقى عينا إنديا الخضراوان مع عينى إيدان الزرقاوين ، تتمنى إنديا لو أن إيدان يصدقها ويعرف أن هذا هو ما حدث فعلا .

ترى إنديا تغير تعبير وجهه ولمعان عينيه . يهز إيدان رأسه . يضع الكوب فى بطء وكأنه يفكر فى الرد . ربما يصدقها إيدان .

« إيدان ، أرجوك » تقترب منه إنديا تمسك بيديه وتضغط عليها متمنية أن يصدقها إيدان .

ادركت إنديا فى تعبيرات وجهه رفضه لكلامها .

« لا ، يا إنديا» .

جاءت كلماته قاسية موحشة . ألقت بإنديا من أعلى القمم الجبلية . أبعد إيدان يديه عن يدى إنديا .

« إنديا ، حبيبتى ، أنا لا أصدق كلمة واحدة مما قلتيه ».

« وكأنى لم أقل شيئا يا إيدان ، أليس كذلك ؟ ».

لم تعرف إنديا كيف واتتها القدرة لنكران حبها والرد على تكذيب إيدان لها .

لقد سألته إنديا عن إمكانية تصديقه حبها له . وإنديا بالفعل أحبته ولكن إيدان حطم حبها له بما فعله فى ليلة زفافهما .

لقد أدركت إنديا حين سؤالها حقيقة مشاعر إيدان ولم تستطع نكرانها . رغم تمنيها أن يسعد إيدان بحبها له بدلا من أن ينكره ويرفضه .

منذ ليلة زفافها ورفض إيدان لها علانية ، أقنعت إنديا نفسها بنسيان إيدان وكراهيته . تلك الكراهية التى منحتها القوة لمواصلة حياتها بين الناس .

إلى أن عاود إيدان الظهور فى (جرانج) ، فعاودتها احاسيس الحب والحنين والأمل فى الحياة من جديد .

لم تستطع إنديا كراهيته ، لأن احساسها الوحيد ناحيته هو احساس الحب واللهفة والشوق الذى عرفته منذ أول يوم رأته فيه ، الذى عذبها كثيرا . فكرت إنديا فى أن إيدان لو عرف حقيقة مشاعرها ، سيستغلها كثيرا وبدون رحمة .

انتفضت إنديا وصكت أسنانها وقررت أن تخفى ضعف موقفها، فهى بهذا تسلم قلبها بيدها لإيدان . فلو أحس إيدان بتملكها له . لانتهرها وأخرجها من حياته بمنتهى القسوة . لقد تصرف معها هكذا من قبل ؟ فمن سيمنعه ثانية .

ابتسمت إنديا لتخفى صراعاتها الداخلية .

« كنت أختبرك يا إيدان !! أردت التأكد من عدم وجود سوء تفاهم بيننا . وأتمنى ألا تخطئى فى انطباعك عن علاقتنا ».

« بالتأكيد أنت لم تتمنى انطباعى الخاطىء » يتحدث إيدان فى صوت حاد ولهجة متحدية .

تصطدم إنديا بتحول نظرات عينيه إلى العدوانية . وتحول كل مشاعره ورقته معها في ثوانٍ .

تبتسم إنديا في تكلف يدركه إيدان : « إذن اتفقنا . والآن سأشعل الموقد . وإلا فلن نتناول عشاءنا قبل التاسعة » .

يراقبها إيدان في صمت ، بينما تملأ إنديا قدرا بالماء وتضعه على الموقد . ترتبك إنديا لمراقبة إيدان وإطالته النظر إليها ، فتحاول التركيز فيما تفعله وتضع القدر في حذر شديد .

« إذن أنت سعيد بحياتك ومغامراتك . أليس كذلك ؟ » .

لم تستطع إنديا الحديث إلا بعد أن ولت ظهرها لإيدان . لو أنها نظرت لوجهه ولاحظت علامات كراهيته لها ، لشعرت بالأرض تدور من حولها ولعجزت قدماها عن حملها « هل أنت مستمتع بحياتك على هذا النحو ؟ » .

يهمهم إيدان في غضب وضجر . تواصل إنديا حديثها بلهجة هادئة .

« وماذا ستفعل بعد ذلك يا إيدان ؟ » .

« بعد ذلك ؟ » .

« إلى متى ستستطيع تحمل هذه الحياة ؟ » .

« سأظل أواصل هذه الحياة ما دامت القدرة توافيني على ذلك » .

« هذا أمر غير معقول » .

« اوه ، أنا انسان جاد أقدر مسئولياتي » .

هذا أمر تستطيع إنديا تصديقه . فإيدان لا يقبل على تنفيذ شيء إلا بعد دراسته . فهذا هو إيدان خطط لرفضها بأحط الطرق وأكثرها إهانة .

« حسنا ، الآن ، أنت في الخامسة والثلاثين من عمرك » .

انتهت إنديا من وضع الطعام على الموقد . وتلفتت ناحية ايدان دون أن تستطيع النظر إلى وجهه . وتعجبت للراحة التي ابداها ايدان « لكن في يوم من الأيام ، ستتقدم بك السن . فماذا سيحدث إذن ، حينما تفقد جاذبيتك ؟ » .

يتهكم ايدان : « ساعتها سأفكر » .

تفكر إنديا (إن شخصا مثل ايدان في وسامته وقوة شخصه وقوامه الفارع وخصوره وعرض منكبيه وشعره الناعم اللامع مستحيل أن يفقد جاذبيته . بالطبع ليس في حاجة للتفكير أبداً ، بل قد يزيده تقدم السن جاذبية وسحرا) .

« ولكن عليك يا إيدان أن تفكر في رأي الناس عنك حين تتقدم السن بك وارتباطك بفتاة صغيرة تعد من عمر حفيداتك . وهل ترغب في إنجاب أطفال ؟ » .

يجف حلق إنديا ، لغضب إيدان .

« فكرت وغيرت رأيي » .

« لكن . أنت .. » .

« لقد غلى الماء » .

يحاول ايدان إنهاء الحديث في هذا الأمر . يتجه إيدان للموقد ويهدىء حرارته .

كادت إنديا أن تقول له (لقد حدثتني سابقا عن رغبتك في إنجاب أطفال ربما طفلين أو ثلاثة . جعلتني أحلم كثيرا بهم) انتاب إنديا فجأة الشعور بحاجتها الانفراد بنفسها .

« تستطيع ان تبلغ ماما وجاري بانتهائنا من إعداد العشاء .

تمنت إنديا لو أن إيدان لا يدرك رغبتها في إبعاده . وبينما ترفع إنديا خصلة من شعرها الذهبي يقترب منها إيدان ويدير وجهها ناحيته تلتقي أعينهما .

« ماذا بك يا إيدان ؟ » .

يهز إيدان رأسه في صمت ، ويبتسم .

« هل سمعت يا إيدان ما طلبته منك ؟ » .

« أوه ، أجل . سمعت » .

« فماذا تنتظر ؟ » .

أومأ إيدان . أمسك إيدان يديها واقترب منها وعانقها . أحست إنديا لهيب انفاسه وتلاحق نبضات قلبه . يقبلها إيدان . تطوق إنديا عنقه بذراعيها وتعانقه .

يتلمس إيدان خصرها ووسطها وصدرها . لم تعد إنديا تحس أو ترى أحداً سوى إيدان وهى بين ذراعيه .

يقبلها إيدان .. يخرج إيدان .

تتذكر إنديا كلمات إيدان : « لابد أن أنتظر . إننى متأكدة من انك ستحتاجين لى وستسعدين بوجودى معكم ... » .

وفعلا .. على الرغم من أن إنديا تحاول أن تنسى إيدان ، لا تستطع ذلك . لقد عرفت إنديا سبب تأكد إيدان من تأثيرها عليها وتأكده منه ومن إحساسها نحوه .

تمنت إنديا لو أن إيدان لم يخرج ويتركها وحدها . ولكنها لم تملك سوى مراقبته وهو يخرج فى صمت . أحست إنديا بقلبها يناديه . تهز إنديا رأسها فى مرارة .

إن حبها لإيدان يزيد كلما رأته ، كلما اقتربت منه ، وسمعت صوته ورأت ابتسامته . إنها لن تستطيع إخفاء هذا الحب . وهى ليست مستعدة لجرح آخر . إن جراحها لم تشف بعد . ولكنها لن تستطيع التخلى عن والدتها وجارى ووالدها ...

الفصل الثامن

بينما تعد إنديا الطعام وتضعه فى حقيبة . تسمع إنديا صوت ايدان فتتراجع خطوات للوراء .

« مهلا يا إنديا » تنطق نبراته بالسعادة والمرح .

« لقد أفزعتنى يا ايدان . لقد قدمت فجأة » .

« لابد أنك كنت شاردة الذهن ، لذلك لم تسمعينى » .

« كنت أركز » .

يوجه إيدان إليها نظرة مرتابة .

« هل أنت متأكدة من ذلك ؟ » ينظر إيدان إلى الحقيبة .

« هل انهيت استعداداتك ؟ جاهزة ؟ » .

فى حقيقة الأمر إنديا ليست مستعدة إطلاقا لفكرة الخروج مع إيدان .

« حسنا . سأضع هذه الحقيبة فى السيارة » .

يتجه إيدان نحو الباب ، ولا تجد إنديا أمامها خياراً سوى أن تتبعه .

« هيا يا إنديا . ألا تحبين القدوم معى ؟ » .

« وهل لدى خيار آخر ؟ » .

تزيدها ابتسامة ايدان حنقا .

« إننى أقترح أن نتعاون سويا فى كل شىء ، يا إنديا » .

« تقترح ؟ إن الاقتراح يعطى الانطباع بإمكانية الرفض . وما قلته تسيطر عليه روح الديكتاتورية » .

لقد اقترح ايدان فكرة خروجه مع إنديا أمام والدتها أثناء العشاء . متأكدا من أن والدتها ستقف إلى جواره . وفى الصباح تبعها إيدان أثناء ترتيبها حجرة جارى مؤكدا عليها دعوته للخروج معها . حاولت إنديا الاعتراض رغم معرفتها بأنها تخوض معركة فاشلة .

« ليس لدى وقت لعمل أى شىء يا إيدان . سأزور والدى . إنه يحتاجنى ».

« إنه لا يحتاجك فى كل دقيقة » يساعدها إيدان فى ترتيب فراش جارى وفراش الملاءة « إن والدتك وأخاك يرافقانه دائما . وأنت يا إنديا لابد أن تستريحى بعض الوقت . إنك ترهقين نفسك كثيرا » لقد طلبت منها والدتها نفس المطلب .

« إنديا ، لقد سألتنى والدتك عن مدى توفقنا سويا . وأنت لا تحبين أن تعرف والدتك شيئا عن الحقيقة . أليس كذلك ؟ » ترتعد إنديا .

« ووالدك لم تتحسن حالته بعد كثيرا . مازال لا يدرى شيئا عن وجودى هنا » .

كانت إنديا قد أوصت والدتها وأخاها بعدم إبلاغ والدها عن رجوع ايدان . إلا بعد أن تتحسن صحته تحسنا ملحوظا . فماذا سيفعل والدها لو عرف أن ايدان اعتبر المنزل ملكاً له . وهم كلهم ضيوفه .

« إذن إلى أين سنذهب سويا ؟ أقترح ... » .

« ما رأيك فى الذهاب للسينما أو لأحد المطاعم ؟ » .

إن من يسمع ايدان الآن ، لا يصدق تهديده السابق لها .

تحاول إنديا أن تخفى آلامها . فى العام الماضى تجولا كثيرا . ذهبا لكل مطاعم المدينة .

يقرأ إيدان مشاعرها على وجهها : « فلنذهب إلى المسرح أو أحد السباقات ؟ فى أى مكان تريدين فيه ملابس مصممة الأزياء ؟ » .

« ملابس مصممة الأزياء ؟ أنت تمزح إذن . إن كل ما أرتديه أفصله بنفسى . وإذا لم تصدقنى . تعال وفتش فى دولابى لتتأكد بنفسك » .

« لا حاجة لذلك . أنت انسانه رائعة » .

« أنا أحب التفصيل » .

أحست إنديا برغبة إيدان أن يذكر شيئا آخر . ولكنه تردد فى آخر دقيقة .

« وجدت فى التفصيل وسيلة للتوفير من ميزانية المنزل ، بعد أن أتممت دراستى فى فن السكرتارية . اتخذت التفصيل كهواية مفضلة وعملية لاقتناء كثير من الملابس . حتى أنى صممت ... » .

« صممت ... ؟ ماذا صممت ؟ » .

« صممت فستان زفافى ... » .

« كان فستاناً رائعا » .

« أعتقد أنك لم تلحظه . فأنت كنت مشغولاً بإعلان رفضك . على أية حال أشكرك على مجاملتك لى . وأنا سعيدة بأن مجهودى لم يضع دون فائدة » .

« كم كنت جميلة ليلتها ، يا أميرتى . إن أى رجل يفخر بأن تكونى عروساً له » .

« ولكن أنت لا تفخر بى . فأنت لست رجلاً عادياً » .

تخرج إنديا وتذهب لإعداد غرفة والدتها . يتبعها إيدان ويساعدها فى مهارة فائقة . يبدو أن إيدان لن يتركها إلا إذا حصل على إجابة قاطعة عن دعوته لها للخروج معه .

تدهش إنديا : « كم أنت رائع . يبدو أنك تعتمد على نفسك كثيرا فى شئون المنزل » .

« اعتدت مساعدة والدتى فى غياب والدى » .

« كم كنت تبلغ من العمر ؟ » .

« سبع أو ثمانى سنوات » .

تتنهد إنديا لتخيلها إيدان صغيراً يساعد والدته .

« أنت تطهين الطعام وترتبين المنزل وتديرين شئونه » .

يفاجئها إيدان بقوله .

ماذا سيفعل إيدان بمعرفته سهرها الليالى الطوال منذ قدومه المنزل . قضاءها الليل كله فى التفكير فيه وفى ذكرياتهما سويا .

« اطمئنى يا إنديا والدك بخير » .

يتحدث إليها إيدان فى رقة لم تتوقعها إنديا . تترقرق الدموع فى عينى إنديا . تولى إنديا إيدان ظهرها .

« إنديا !! » .

يقترب منها إيدان ويطوقها بذراعيه . ترتمى إنديا بين ذراعيه وتلقى برأسها على كتفه .

« أنا خائفة على والدى » .

« أعرف . لكن اطمئنى سيعود والدك للمنزل » .

يمسح إيدان دموعها فى رقة شديدة ويربت على ظهرها وكتفها .

« إن أباك رجل محظوظ . فأنتم الثلاثة تخافون عليه وتتمنون له الصحة والعافية » .

« إيدان ، كيف كان إحساسك حين توفى والدك ... ؟ » .

« حين توفى والدى ؟ هل ستصدقينى إذا قلت لك أنى وجدت حريتى » .

تفزع إنديا : « حرية !! هذا شىء مريع . لا يمكن أن أصدقه .. » .

« لا أبدا » .

يؤكد لها إيدان فى لامبالاة : « صدقينى . أنت سألتينى عن مشاعرى فأجبتك » .

تتغير نظرات إيدان إلى العدوانية . يضع إيدان الوسائد على فراش والدة إنديا ويرتبه . ثم يخرج مسرعا .

لم تستطع إنديا أن تتركه هكذا .

« إيدان لقد سألتنى عن رأيى فى الدعوة . وما دمت أنت مصرا على خروجى معك . فإذا كان لابد أن نخرج ، لابد أن نذهب لمكان لا يكلفنا شيئاً » .

« فى هذه الحالة ، يمكننا التجول سيراً على الأقدام » يتهكم إيدان . ولكن

تشكره إنديا على هذه الفكرة .

« أجل . فكرة رائعة ، ليس هناك أفضل منها . ما رأيك لو أننا قضينا يوماً كاملاً فى التنزه » .

لا تعرف إنديا سبب اقتراحها هذا بقضاء يوم كامل خارج المنزل مع إيدان . ربما للخلاص من منزل (جرانج) الذى يذكرها بأحداث العام الماضى . وربما لو أنها كانت مع إيدان فى مكان آخر لتوصلت معه إلى اتفاق على الأقل وجمعتهما حياة أيسر .

تتحدث إنديا بينما تتبع إيدان حتى السيارة : « يسعدنى موافقتك على فكرتى . هذه هى أول مرة توافقنى على فكرة مثل ذلك » .

« ربما لا » يحملق إيدان النظر فيها . اعتقد أنه من الأحرى أن تسألى نفسك » .

تتذكر إنديا جولاتها مع ايدان فى أول أسابيع تعارف لهما فى أفخم المطاعم وأحدث عروض الأزياء . رغم ذلك لم تعترض إنديا بكلمة واحدة .

لم تعترض إنديا لخوفها اذا ما أبدت تفضيلها للأماكن البسيطة ، فقد يملها إيدان ويراها ساذجة . خافت إنديا أن تخسره وأن يبحث إيدان عن امرأة غيرها تفهمه وتقدر هذه الأماكن الفخمة .

بعدها تقدم إيدان للزواج منها . سعدت كثيرا بطلبه وتصورت أنها أخذت وقتها الكافى لمعرفته .

« هل تقصد أنى لو اقترحت اقتراحا كهذا فى أول لقاءاتنا كنت ستوافقنى ، يا إيدان ؟ » .

« وهل كنتِ أنتِ ستختارين أماكن بسيطة . لا تقولى لى أنى لم أعرفك جيدا » .

تتضح فى نظرات عينى إيدان تكذيبه لها وعدم قبوله أية تبريرات .

« بل انك لم تحاول معرفتى » .

« لقد كنا أغبياء ، حين تصورنا إمكانية نجاح زواجنا ونحن لا نعرف كلانا الآخر ، يا أميرتى » .

« أنت الذى لم يحاول إنجاح زواجنا . وكنت تخدعنى منذ أول مرة رأيتنى فيها ».

يفاجئها إيدان : « لم أخدعك منذ البداية ولم أقصد خداعك فى كل شىء ».

ترتاب إنديا إذ تلحظ غضبه الشديد وتتورد وجنتيها .

« لكنى أعتقد أنى أعطيتك كل شىء أردتيه منى . وإذا كنت لم أعطك فلماذا لم تتطلبى ؟ أو ربما كان المفروض أن أسألك ».

تشعر إنديا بدوار شديد .

« هل تحبين أن نعود ، أيتها الأميرة ؟ ».

« لا . أريد أن أذهب فى نزهة على النيل . إذا أحببت . وأطعم البط بيدى... ».

تتوقف إنديا عن الكلام حين ترى تعبير وجه إيدان . الذى نظر إليها وكأنه يراها لأول مرة ».

« أريد أن أتجول » ترى إنديا إيدان مرتبكاً .

« أجل ستتجول » يقود إيدان السيارة .

ظلت إنديا تراقب إيدان وهو يقود السيارة . شعره الناعم يتطاير من هواء النافذة المفتوحة . تمنت إنديا لو أنها تريح رأسها على كتفه وتسمع نبضات قلبه .

« هل تعبت من قيادتك السيارة ؟ ».

« أنا بخير ».

« لاحظت سعادة والدتك بالأخبار التى سمعتها عن والدك ».

« انها سعيدة بتقدم حالة والدى ».

« لقد سمعت أنه سيخرج من العناية المركزة اليوم .. ماذا بك يا إنديا ؟ » لاحظ ايدان شحوب وجهها . لم تجبه إنديا أو لم تستطع الرد ».

« هل كنت تفكرين فى والدك ؟ وفيما سيحدث بعد خروجه ؟ ».

تنظر إليه إنديا فى ارتياب . كيف عرف ايدان ما تفكر فيه ؟ هل يبدو على وجهها ما تفكر فيه ؟ أم أنه يقرأ أفكار الآخرين ؟

يتحدث ايدان فى هدوء : « لا داعى للقلق يا أميرتى . سيعود والدك إلى المنزل لقضاء فترة النقاهة ».

« مستحيل أن توافق أنت على هذا . فأنت لن تطيق والدى بالمنزل ».

« أتفق معك فى أننى لا أستطيع توقع سعادتى بوجودنا سويا أنا ووالدك . وأنا متأكد من أنه لن يرغب وجودى . ولكن كما قلت لك يا أميرتى . إن والدك مدين لى بأموال كثيرة . وأصبحت أنا المالك الحقيقى للمنزل ، الذى أفضله على المال . وأقل شىء أستطيع فعله هو أن أعرض عليه إصلاح المنزل ، إلى أن يجد منزلا آخر يقيم فيه.

« معقول !! أنت تفكر هكذا ؟ » لا تكاد إنديا تصدق أذنيها . أوما ايدان .

« سيستمر ترتيبنا على ما هو عليه . إلا إذا انتهت علاقتنا ، سيخاف والدك من أن أستحوذ على المنزل . وأظنه لن يستطيع الانتقال من منزل العائلة فى هذه الفترة ».

مرة ثانية أصبح الثمن هو موافقتها على لعب دور الخطيبة . إنه يعرف أنها ستوافق ، فليس أمامها خيار آخر . ولكن ما سبب عدم تفكير إيدان فى الانفراد بالمنزل ؟ ما الذى يدور فى عقل إيدان ؟

ماذا يريد منها إيدان ؟ وكيف ستصير الأمور بعد ذلك ؟ ....

الفصل التاسع

«ماذابك، يا أميرتى ؟».

تصطك أسنان إنديا فى غضب. بالتأكيد إيدان هو ما تفكر فيه.

« كنت أفكر فى الطريقة التى ستفسر بها لوالدى ما تخطط لفعله بالمنزل. سيعرف والدى أن ميعاد سداد الكمبيالات قد نفد ولن يصدق أنك ستنفق أموالك فى إصلاح المنزل. لمجرد الاستمتاع».

« بل سيصدق لو عرف أنى خطيبك ».

أرجعتها كلمات ايدان للوراء ولذكريات غير سعيدة. لذكريات الأسبوع الذى قضته مع ايدان أثناء سفر والديها. خلال هذا الأسبوع اختفى إيدان وانشغل عنها فجأة. قضى معظم وقته فى لندن. وحينما سألته إنديا عن سبب بعاده عنها. أكد لها ان أعماله لم تكن هى المانع الوحيد.

« إنى محتاج لوقت أفكر فيه وأعيد ترتيب أوراقى ».

« تفكر ؟ وما الذى يشغلك عنى يا حبيبى ؟ ».

خافت إنديا أن يكون إيدان غير رأيه ورفض الزواج منها.

« كنت أفكر فينا نحن الاثنين. انظرى، يا أميرتى. قد نكون تسرعنا فى اتخاذ قرارنا. فهل أنت متأكدة من حقيقة مشاعرك ؟». تجيبه إنديا فى حدة وغضب واضح: « بالطبع أنا موافقة على الزواج منك ».

« هل أنت متأكدة من ذلك ؟ ولم تبدى أى تمرد أو اعتراض. على أية حال

أنت أميرة .. ولكن تصرفات والدك الصغيرة .. والآن ... » .

« لا ، يا إيدان . ليس الأمر هكذا أبدا . إذا كانت تصرفات والدى تضايقك، فلا تقلق . وعلى أية حال ، لو أردت أن تحظى بتأييده . فكل ما عليك أن تفعله ، هو أن تعرض عليه المساهمة فى إصلاح المنزل » .

هز إيدان رأسه رافضا اقتراح إنديا على الإطلاق .

« إذا كنت ستشترى موافقة شخص بهذه الطريقة . فكيف ستعرف إذا كنت مرغوبا لذاتك أم بقدر ما تعطيه فقط ؟ » .

« لكنك فى النهاية ستعيش فى منزل (جرانج) ، أليس كذلك؟» .

تعود إنديا إلى الحاضر . وتحدث إيدان فى لهجة حزينة :«على أية حال أنت أنفقت الكثير فى إصلاح المنزل . ولا يمكن أن تتركه لأحد» .

يغير أيدان أطراف الحديث .

« ألا تعتقدى أن والدك سيكره رؤية منزل عائلة مارشانت فى أيدى شخص غير مقبول ؟ » .

تتحدث إنديا فى بطء : « ربما . ولكن حينما يرى أنك أنقذت المنزل من الانهيار وتخطط لتجميله وتحويله لمنزل القرن العشرين مع الحفاظ على روحه ، ربما يدرك خطأه ويرى أن المنزل صار فى أيدى انسان يحبه ويقدر أهميته . ولو نسى أبى كبرياءه لاعترف بأن المنزل صار ملكا للشخص المناسب » .

يسأله إيدان فى ارتياب : « هل ترى أن هذا ممكن ؟ » .

« أتمنى هذا . إننى أدعو الله أن يشفى والدك من مرضه ويدرك أخطاءه ويبدأ حياة أخرى جديدة أكثر مسئولية » .

يحملق إيدان النظر فى إنديا ويتغير وجهه .

« لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟ » .

« كنت أفكر فى أنك لك أسبابك لكراهية أبيك . لقد وضعك انت وأسرتك فى موقف صعب » .

« أعرف هذا . ولكن صدقنى ، لو كانت حالة والدى تسمح للمته على ما

فعل . ولكنه والدى . ورغم كل أخطائه سأظل أحبه » .

« ووالدتك أيضا تحب والدك وتصفح له أخطاءه وحماقته » تلحظ إنديا فى صوته لهجة غريبة ، لا تستطيع تفسيرها .

« بالتأكيد . إنه زوجها !! » .

يتوتر إيدان . وتلتقى عيناه الزرقاوان بعينى إنديا الخضراوين .

«إيدان ؟ » .

« إن الزواج ليس شرطا للوفاق والسعادة . أحيانا يكون الزواج مجرد أوراق رسمية لا يمكن ربطها بمشاعر الحب . أو قد تنهى هذه الأوراق هذه المشاعر وتقبلها » يتحدث إيدان فى حدة تتفق مع تعبيرات وجهه .

« يبدو كأنك تتحدث عن خبرة أو تجربة عشتها فى الواقع » .

تتحدث إنديا فى حذر . خوفا من حدة إيدان وتوتره ، ولكنها لا تعرف إذا كان إيدان سيسمح لها بسؤاله .

فى الماضى ، فى المرات القليلة التى تحدث فيها عن والديه . كان إيدان لا يرحب بأية أسئلة عن والديه . فكانت إنديا تحرص على الصمت . لكن هذه المرة لا تستطيع إنديا .

أومأ إيدان : « لقد فهمت كيف أن زواج أمى وأبى كان حرباً مدنية عائلية . أمامى كانا يتظاهران بالصداقة » .

« ولماذا لم ينفصلا ؟ » .

« أجل انفصلا كثيرا . ولم يدم انفصالهما طويلا . كانت المشكلة فى أنهما لا يستطيعان الفراق ولا يطيقان الحياة سويا » .

يتألم قلب إنديا من أجل إيدان .

« إنها قصة قديمة . ووالداى ليسا أول الأزواج المتعاديين . وأشك فى أن يكونا آخر الأزواج .

فكرت إنديا فى أن تعانق إيدان . ولكنها تعرف أنه سيرفض أية شفقة منها .

« لقد تحولت حياة والدىّ إلى ساحة قتال أو معركة . كانا يتشاجران طوال

الوقت ، سيطر العنف على حياتهما . وفى النهاية قتلا بعضهما .

« إيدان ، لا !! » .

هذه المرة لم تستطع إنديا سوى أن ترتمى بين ذراعى إيدان وتلقى برأسها على ذراعه ، محاولة أن تعبر له عن تعاطفها معه وصدمتها بهذا الواقع الأليم . نظر إليها إيدان خلسة .

« لا . لم يقتلا بعضهما . ولكن كادت الكراهية بينهما أن تصل لهذا الحد » .

ضحك إيدان فى مرارة .

« اتفقا والداى على الصلح فيما بينهما ، وذهبت والدتى لوالدى فى الفندق وفى طريقهما للمنزل اختلفا خلافاً حاداً . كان الطقس قارص البرودة . ظلا يتشاجران فى هذه الليلة حتى أنهما لم يريا الثلج واتجها للسير فى طريق سيارة لورى . وقتلا الاثنين على الفور » .

« كيف عرفت أنهما كانا يتشاجران ؟ ربما لا تكون هذه هى الحقيقة » .

« عرفت هذا لأنى كنت فى خلفية السيارة . نجوت من الموت بمعجزة . مضت فترة طويلة من الصمت . لم تجرأ إنديا على إنهائها .

« لا . لن يقود السيارة أحد غيرى » يرفض إيدان عرض إنديا لقيادة السيارة بدلا منه . تدرك إنديا السبب .

يتنهد إيدان ويمسح شعره الناعم بيديه .

« دفن والداى سويا . ربما تكون هذه هى أول مرة يقتربان فيها من بعضهما البعض » .

« هل تظن أننا مثلهما . »

« أوه ، يا أميرتى . أنا لم أكرهك أبدا » .

تحملق إنديا النظر إلى عينيه الزرقاوين ولكنها لا تستطيع أن تقرأ شيئا فيهما .

إذا كان إيدان لا يكرهها ؟ فما هى حقيقة مشاعره نحوها ؟ يفتح إيدان باب السيارة ويلتفت نحو إنديا .

« هناك شىء واحد يجبرنى كثيرا . وهو أنه رغم رجوعى منذ حوالى أسبوع

فى منزلك وحياتك . لم تسأليني طوال هذه الفترة عن سبب رفضى الزواج منك فى العام الماضى .

« لأن السبب واضح ؟ » .

« واضح ؟ » .

تطيل إنديا النظر إليه .

« مادام السبب غير واضح . إذن وضحه أنت » .

« لا . ستحكى لى أنت » .

« لماذا ؟ ... أنت تصرفت هكذا لأنك ... » كادت إنديا ان تقول لأنك تكرهنى . لكنها تراجعت .

« لأنى أهنت كبرياءك بتفضيل المال عليك » .

« إذا كنت تتصورى هذا عنى ، يا إنديا . فأنت إذن لا تعرفينى » .

ترتاب إنديا وتذهل بإجابته . يفتح إيدان باب السيارة ويأخذ حقائب الرحلة . تتبعه إنديا .

كلامك ، لا تتركنى هكذا » .

« يهز إيدان كتفيه ويسير على ضفة النهر . إيدان !! » تتبعه إنديا مسرعة .

« تذكر جيدا يا إيدان أنك أنت الذى رفضت الزواج منى .

أنى

لو أردت جرحك حقا ، كنت سأتزوجك وقيدتك بالحياة معى » .

تقف إنديا فى حيرة ويواصل إيدان السير .

« إيدان .. !! » .

« تجرى إنديا » .

تحاول إنديا التقاط أنفاسها . تلقى إنديا نظرة على الوادى الهادىء والأشجار الخضراء وأشعة الشمس التى زادت الخضرة جمالا . ومياه النهر التى تشبه الشلالات فى تدفقها .

« مكان رائع . ولكن قل لى لماذا تتهرب من إجابة سؤالى ... ؟». « أنا لا أتهرب من الإجابة . ولو أنت سألتينى أسئلة مناسبة ، سأجيبك » .

« أسئلة مناسبة ... » .

« تهز إنديا رأسها في حيرة . ما هى الأسئلة المناسبة ؟ » .

يقاطعها إيدان : « هل تحبين أن نتناول طعامنا الآن ؟ » ..

يبسط إيدان سجادة ويفرشها على الأرض ويضع الحقائب ويجلس إلى جوارها . يفتح إيدان الحقائب ويعد الطعام والأطباق والمشروبات . تجلس إنديا إلى جواره على الحشائش .

« حينما تقدمت لخطبتى يا إيدان ، كان هذا جزء من خطتك ؟ أقصد أنك طلبت الزواج منى لـ ..... » .

لم تستطع إنديا أن تقول « لتجرحنى » .

« لتهينني برفضك لى فى حفل الزفاف ؟ » .

يأخذ إيدان وقته في الرد عليها : « صدقينى يا إنديا . لم أقصد أن يتطور الأمر هكذا . لقد ذهبت للكنيسة متمنيا أن تتم سعادتنا » .

تضع إنديا كأسها . إن هذا كان آخر ما تتوقعه من إيدان « أوه !! كيف تتوقع منى أن أصدقك ؟ » .

« ولم لا ؟ وهذه هى الحقيقة . كنت أعتقد أنى سأنجح وأحمل قرار الزواج وأعباءه » .

« أنت تصور الزواج وكأنه عذاب ومعاناة » .

« أنت طلبت سعرا غاليا . وفوائد مشروعاتى الاستثمارية جاءت أقل مما كنت أتمناه » .

« استثمارى !! أنا لم أسألك عن صفقة . . أم أنك تعتبر زواجنا صفقة ؟ » ..

« ألم يكن هكذا ؟ وما الاختلاف بين زواجنا والصفقة ؟ أنت أردتى أموالي وأردتى الزواج منى . وأنا كنت محتاجاً إليك . كان لابد أن نتفق على شروطنا . رغم أنك أبديت رغبتك الزواج سريعا».

« لا تذكرنى !! » .

كانت إنديا تفكر فى مجرد الارتباط بإيدان ولم تبال بأى شىء آخر . يمسك إيدان بيديها ويرفع وجهها ناحيته .

« لا تقلقى يا إنديا فالكثيرون يتمنونك . فأنت امرأة أنيقة ، ذات مركز اجتماعى ، حسناء ، فاتنة جذابة » .

تفكر إنديا (قطعا إنه يجاملنى ويتخيل أنه خدعنى بهذه الكلمات . ان والدى كان لديه الحق فيما قاله منذ أكثر من عام ، رغم أنى رفضت اتهاماته لإيدان بالطمع) تتذكر إنديا كلمات أبيها.

« هناك أشياء لاتشتريها الأموال . مثل الحب والمركز الاجتماعى . وإيدان وولف يملك الثروة ولا يملك المركز الاجتماعى الذى نملكه نحن ، فأسرتنا تنتمى إلى (مندبين النور) . ومعك ستعرف إيدان على أهم وأبرز الشخصيات ويدخل أهم المنازل وأفخمها ويتطلع على أهم الأحداث » .

ضحكت إنديا ردا على تعليق والدها . ولكن كلمة إيدان الآن عن المركز الاجتماعى جعلتها تتحقق من رأى أبيها فى إيدان . وافتقاد إيدان للمركز الاجتماعى .

« أنت سيدة (جرانج) » تبتعد إنديا عن إيدان .

« ابتعدى عنى يا إنديا » تغضب إنديا « أشكرك يا إيدان على عدم زواجك منى . لقد صنعت فى معروفا حينما رفضت الزواج منى. أعطيتنى حريتى » .

« أجل حتى تستطيعى الارتباط بجيم » .

« جيم ؟ أجل جيم !! إنه شخصية رائعة » .

« بالطبع الشخصية أهم من المال » .

تتجهم إنديا : « ماذا تقصد يا إيدان ؟ أرجوك أن تفسر كلامك» .

« لست مضطرا لتفسيره . إذا كنت فعلا لا تعرفين الكثير ، فلماذا لا تسألين والدك أو مدير البنك ؟ » .

« مدير البنك ؟ » .

« أوه !! يا أميرتى . لا تتظاهرى بعدم معرفتك لاتفاق ما قبل الزواج ؟ » .

« أى اتفاق ؟ » .

« الاتفاق الذى فاوضنى فيه والدك بشأن حصولك على مبلغ فى البنك سواء تزوجنا أم لا » .

« لا .. لا أصدق هذا . فاتفاق مثل هذا غير معقول . وإذا كانت هناك أموال لى بالبنك فلماذا لم يصلنى أى إخطار بها !! » .

« وهل تتصورين أنى سأحقق لك رغبتك على الفور ؟ » يتهكم أيدان فى قسوة وحدة « لقد أجلت تنفيذ الاتفاق مدة عام وأظن أن الأخطار وصلك فى يوم عيد ميلادك » .

لكن فى يوم عيد ميلادها وصلها كثير من الكروت لم تفتح إلا المهم منها . بسبب قلقها وخوفها على أبيها .

« لا أعرف شيئا عن هذا . وأنا لم أقرأ ... » .

يغمض إيدان عينيه ويتكىء على جذع شجرة .

« لكنك مخطئة فى اختارك لجيم » .

« ليس لديك الحق ... » .

يقاطعها إيدان : « انا قدمت (لجرانج) منذ أسبوع . لم يفكر جيم فى رؤيتك خلال هذا الأسبوع . أظن ان شجاعته لا توانيه للظهور أمام منافسه » .

« هذا لأنه متأكد من أنه ليس لديه منافس . إنه يعرف أن قلبى مشغول به وحده » .

« هل هذا صحيح ؟ ولكن لماذا لا يزورك ولا تريه ؟ مادام الجبن لا يمنعه » .

« هذه أمور خاصة بى . صحيح أنت امتلكت (جرانج) ولكنك لا تملكنى . سأتصرف كما أحب . وسأسعد كثيرا إذا لم تتدخل فى شئونى . » لم يجبها إيدان . تستشيط إنديا غضبا . فكرت إنديا فى أن تبتعد الآن .

« أريد أن أتجول وحدى الآن !! » .

تدهش إنديا لعدم اهتمام إيدان أو اعتراضه على ما قالته . كل ما فعله هو أنه

اتكأ على جذع الشجرة واغمض عينيه ، ولم يترك أمامها خياراً سوى التجول بدونه ، وهى فى حالة يرثى لها .

الفصل العاشر

سارت إنديا على غير هدى . وهى لا تدرى أى طريق تقصد . سارت انديا إلى جانب النهر تركل الحجارة .

كيف جرأ إيدان على معاملتها بهذه الطريقة ؟ أنه اقتحم بيتها وحياتها ... منذ قدوم إيدان وهى تجد نفسها فى حرب . وهى لا تعرف إلى من توجه حربها ؟ لقد اقتحم إيدان (جرانج) . ولكنه لديه الحق فى هذا . إن والدها هو السبب ، رهن منزلهم وخاطر بكل شىء . ولم يفكر فيهم .

وكان إيدان على العكس هو الشخص الذى أنقذهم فى محنتهم وأنقذ منزلهم من الدمار . لم يجدد شيئا فى المنزل إلا بعد استشارتها . وحمى والدتها من الحقيقة المؤلمة ، مراعيا حالتها وحالة والدها. لكن لماذا يتصرف معها إيدان هكذا ؟

هل يمكن أن يكون والدها صاحب فكرة عقد (اتفاق) زواجها من إيدان؟

قد يكون هذا العقد سبب رهانه ومخاطرته بكل شىء .

ربما يكون هذا صحيحاً ، ففى الوقت الذى غاب عنها إيدان فيه متعللا بانشغاله وإعادة التفكير فى قرار زواجه منها . هو الوقت الذى طلب فيه والدها

منه تحويل مبلغ باسمها .

هذا ما يفسر انتقادات إيدان المهينة لها وعن حبها للثراء منذ ظهوره فى حياتها مؤخرا وقبل ذلك .

ففى الكنيسة ليلة زفافهما قال لها : « لقد أعطيتك كل ما بوسعى ، ماذا تنتظرين منى بعد ذلك ؟» .

يمر كل هذا الوقت وهى لا تدرى بوجود الأموال التى يمكنها سداد ديون أبيها . ولكن هذه الأموال دفعها إيدان .

لكن لماذا وقع إيدان هذا العقد ؟ خاصة وهو لا ينوى الزواج منها ولن يستفيد شيئا من توقيعه هذا العقد .

« لو سألتينى الأسئلة المناسبة . سأجيبك ، يا إنديا » .

تتذكر إنديا كلمات إيدان وتتألم . وكيف كان يمكنها توجيه الأسئلة الصحيحة وهى لا تعرف شيئا ؟

تذكرت انديا حين ذهبت لزيارة إيدان فى لندن وانتظرت فى مكتبه إلى أن ينهى اجتماعه . جلست إنديا تكتب اسمها إنديا وولف بدلا من إنديا مارشانت .

« هل تعرف يا إيدان أن اسمى واسمك متشابهان فى نفس الحروف . إنها مصادفة لذيذة جدا !! » .

« نعم . لكن يزيد فى اسمك حرف "I" والذى يعنى « أنا». يأخذ إيدان القلم ويضع دائرة حول حرف "I" .

« اختلاف خطير أليس كذلك ؟» .

لم تفهم إنديا فى ذلك الوقت ما يقصده إيدان .

فجأة داهمتها فكرة الرجوع لإيدان والحديث معه وسؤاله الأسئلة الصحيحة ... لم تصدق انديا أنها غابت ساعة كاملة تتجول. لابد أن إيدان يبحث عنها .

لم يكن إيدان يبحث عنها إذ أنه راح فى سبات عميق . حين رأت إنديا إيدان نائما نسيت أسئلتها وجلست إلى جواره محملقة النظر إلى وجهه .

إنديا فى هدوء : « إيدان .. » اقتربت منه إنديا تلحظ ظلال أوراق الشجر على وجهه وملابسه وقوامه الفارع وساقيه الطويلتين وشعر صدره وعينيه الضيقتين ورموشه الطويلة . هذه هى أول مرة ترى فيها إيدان نائما كالطفل البرىء . فى أيام خطبتهما كان إيدان لا ينام إلا بعد أن يطمئن عليها ، وكان يستيقظ قبلها دائما ويجلس إلى جوارها حتى تستيقظ من نومها . وكأن لحظات نوم إيدان سر يريد إخفاءه عنها بالأخص . ماذا يخفى عنها إيدان أيضا ؟

هل كانت إنديا تعرف إيدان حقا ؟ وهل حاولت معرفته ؟

فجأة عاودت إنديا ذكريات العام الماضى ، حين حدثها إيدان عن رغبته العودة للندن .

« لا تذهب يا إيدان . إنى أريدك إلى جوارى . لا تبعد عنى » .

يعترض إيدان ضاحكا : « سأسافر وأعود بعد أيام قلائل ، يا أميرتى » .

« لا أنا لا أستطيع بعادك. إنى أريدك إلى جوارى فى كل ساعة ودقيقة وثانية. حتى وأنا نائمة . أريد أن أستيقظ وأفتح عينى لأراك » .

« إذن . تعالى معى . فقد لا يكون مكانى فى (جرانج) ، إنما فى مكان أكبر يكفى اثنين » .

« أسافر معك ؟ ».

« قد تكون فكرة رائعة ».

« لا أعرف ، يا إيدان . لكن لو أنا سافرت سيتحدث عني الناس في قرية (وستبرى) .

« فليتحدثوا !! ».

« لا أستطيع يا إيدان . أنا أعيش هنا . وأسرتنا تعيش هنا منذ قرون وأيضا .... أنا أريد دوام علاقتنا ».

« الزواج ؟ » يتحدث إيدان في لهجة غامضة ، لم تبالِ بها إنديا « فكرة رائعة !! بهذا تستمر علاقتنا طول العمر وسيسعد والدي بزواجنا كثيرا » .

يتحدث إيدان في لهجة جافة : « لكن والدك لن يسعد كثيرا ».

« لا تقلق بشأن والدي . إن كل ما يهمه هو سعادتي . وحين زواجنا سنضعه أمام الأمر الواقع » .

« وهل ستسعدين فعلا ؟ ».

« سأكون أسعد امرأة في العالم !! » .

تهمس انديا في حزن « أوه ، إيدان » .

يميل إيدان على جانبه وكأنه يحس بوجود إنديا إلى جواره . تطيل إنديا النظر إلى كتفيه العريضتين . وتتمنى لو أنها تلقي برأسها على كتفه وتسمع دقات قلبه ويطوقها إيدان بذراعيه ..

« إنديا ؟ ».

استيقظ إيدان وفتح عينيه وحملق النظر لوجه إنديا وفستانها القصير

(الكات) وساقيها البيضاء الطويلة الناضرة . التقت عينا إنديا بعينيه وخفق قلبها.

« قبليني يا إنديا ؟ » .

من الواضح أن إيدان قرأ أفكار إنديا ومشاعرها في عينيها .

ضمها إيدان إلى صدره . ابتسم إيدان ابتسامة عريضة وطوق عنقها بيديه وقبلها ومرر يديه بين خصلات شعرها الذهبي الناعم الطويل .

« إني أفتقدك كثيرا يا إنديا ؟ ليتك تعرفين مدى اشتياقي إليك !!». إن إيدان يأخذها لعالم آخر لا ترى فيه سوى إيدان وهي .

يبدأ إيدان في تعرية نصفها العلوي ويعانقها « كم أنت جميلة يا إنديا !! » .

تحس إنديا لهيب أنفاسه على صدرها وقبلاته الحارة ...

تفك إنديا أزرار قميصه .

« أنا أحبك يا إنديا . هل تعرفين هذا ؟ » .

« أجل . وعندي الدليل » .

تمرر إنديا أصابعها بين شعر رأسه الناعم . وتبتسم . ترتمي إنديا بين ذراعي إيدان . يقبلها إيدان ويتلمس صدرها وخصرها وساقيها .

« لابد أن نرحل الآن ؟ » .

« أجل ، يا أميرتي . إن والدتك ستسأل علينا ».

يساعدها إيدان في ارتداء ملابسها ويرتدي ملابسه دون أن ينطق بكلمة واحدة .

« لا . لن تسأل عنا . إنها تعرف أني معك » .

لقد عرفت إنديا فى اللحظات السابقة قدر حبها وحاجتها لإيدان. إنها مع إيدان تستعيد حيويتها وجمالها وبدونه تذبل وتموت. كيف ستعيش إنديا بدونه لو رحل عنها ورفضها كما فعل من قبل.

« من الواضح أن والدتك يا إنديا لا ترانى بنفس الصورة التى يراني بها والدك ؟ ».

« إن آخر ما تهتم به هو اسم العائلة والمركز الاجتماعى. لقد أرغمها والداها على الزواج من أبى. كان زواجهما مجرد اتفاق بين أكبر عائلتين بالقرية ».

« لكنها تحبه الآن وتهتم به » يتحدث إيدان بلهجة لم تسمعها منه إنديا من قبل.

تبتسم إنديا : « أوه، حسنا. لقد أحبته، رغما عنه، فكما ترى والدى لا يجيد التعبير عن عواطفه ومشاعره.

من الواضح أن إيدان مثل والدها كتوم لا يحكى الكثير من تفاصيله الشخصية « قليل من الرجال يستطيع التعبير عن عواطفه. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ حينما تكتشف والدتك ديون أبيك ؟».

« أعتقد أنها ستتفهم الموقف. إنها تحبه على حاله. وتتقبل منه أى شىء » لقد ذكرها إيدان بما دار خلال هذا الأسبوع. بعد أن حاولت نسيانه خلال اللحظات السابقة ... تفكر إنديا فى أنها هى أيضا مستعدة للصفح عن إيدان وعما سببه لها من جراح واهانات. لأنها تحبه وستقبل منه أى شىء. خاصة بعد أن عرفت ذكرياته المريرة مع والده والتى غيرت فكره عن الزواج. كان يجب ألا تدفعه إنديا لزواجها بهذه السرعة قبل أن يعرفها ويحبها.

آه، لو كان إيدان يحبها لسامحته وواجهت حياتها بأمل وقوة، دون أن يطلب منها هذا. ولكن ما هى حقيقة مشاعر إيدان تجاهها؟

« لكن على أية حال، أنت مخطىء فى رأيك عن أبى. فقبل حفل زفافنا بيوم لاحظت سعادته وبهجته ».

« أعرف هذا ».

« ماذا تقصد ؟ ».

« أوه !! يا أميرتى » يتهكم إيدان : « بالتأكيد أنت تعرفين أن والدك يدرك جيدا مصلحته ويجيد الاستغلال. لقد تجاهل والدك مركزى الاجتماعى وأدرك كم النقود التى سأغدق بها على أسرتك.

« لا ... » تعجز إنديا عن الرد على اتهامات إيدان. وتنتابها ذكريات العام الماضى، حينما تحول موقف والدها من الرفض إلى الموافقة على الزواج من إيدان. ومساهمته فى الإعداد لحفل الزفاف وشراء الزهور والشامبانيا بأموال لم يملكها والدها أبدا.

« كم أقرضت والدى ؟» يجيبها إيدان فى كبرياء وحدة « يا !! مبلغ كبير ».. «هل دفعت كل هذا المبلغ لوالدى ».

« إذن فعقد الزواج حقيقى » تلتقط إنديا أحد الزهور.

« ماذا تتصورين عنى أيضا يا أميرتى ؟ أنا لم أكذب عليك قط فى حياتى ».

« آسفة، يا إيدان. سامحنى ».

يسود صمت طويل. يحملق إيدان النظر فى وجهها وعينيها. ويضحك «تعرفين، يا أميرتى. أنى كدت أصدقك. كنت مقنعة فى حديثك ».

« لأن هذه هى الحقيقة . لم أكن أعرف ما فعله والدى معك . لكن الآن اتضحت لى كثير من الأمور . منها أسباب تصرفاتك معى هكذا ومغادرتك الكنيسة ليلة زفافنا .

« صدقينى ، هناك أوقات كثيرة سألت فيها نفسى هذا السؤال ». ربما أنى فعلت هذا . لأنى أردت رؤيتك لآخر مرة » يطيل إيدان النظر إليها وإلى قوامها الجذاب ... يجمع إيدان الأطباق والسجادة .

« لو كنت تحبنى حقا . لما تركتنى ... » يشحب وجه انديا .

« لقد فكرت فى هذا فعلا . لكنى لم أفضل اختيار الطريق السهل » .

« السهل ... » تهز انديا رأسها . لقد قال سابقا أنه قدم للكنيسة ينوى الزواج منى ولكنه وجد أن الزواج قرار صعب لا يستطيع اتخاذه « إذن أنت لم تفكر فى الزواج منى . كل ما تريده هو الانتقام ولكن لماذا صبرت كل هذا الوقت؟ » .

« أنتِ تبالغين فى تصورك للأمور . أنا لم أعرف بأن والدك سيصاب بجلطة قبل موعد سداد ديونه » .

« لا أقصد هذا . ولكن بالتأكيد مرض والدى فرصة مناسبة لك. سهلت عليك أمورا كثيرة ؛ مثل الاستيلاء على (جرانج) ». تتحدث فى مرارة « هل تعرفين أن والدك كان سعيد الحظ معى . أنا لم أفرض عليه فائدة ستة أشهر . مثلما يفعل الآخرون .

تقاطعه انديا : « بدون فائدة . لم تذكر شيئا عن هذا من قبل ».

يبدو على إيدان غضبه لإفصاحه سر إعفاء والدها من الفائدة.

« حسنا . إذن أموال عقد الزواج كلها ملك لك . أنت تستحقها ».

« هل ستدفعين ديون أبيك ؟ ... لابد أنك تحبينه كثيرا » .

« لا . أنا لن أدفع شيئا . لأنى لن أقبل هذه الأموال . إنها ليست من حقى . وأنا لم أطلب من والدى إرغامك على دفعها . أرجوك أن تأخذها ».

« إنديا . لقد دفعت هذا المبلغ لك وأريدك أن تقبليه ».

« لا . لن أقبله . خاصة بعد ان عرفت كيف أخذه والدى منك ».

« حسنا . يمكنك التصرف فيها كما تحبين . ولكنى لن ألمس منها شيئا ».

« ولو حاولت إرسال الشيك لى سأحرقه وأبعث لك برماده ».

« وماذا ستفعل الآن ، يا إيدان ؟ » .

« الآن ؟ » .

منذ لحظات فكرت إنديا فى الصفح عن إيدان ، لو صارحها بحبه لها . ولكنها عرفت الآن أنها كانت حمقاء تخدع نفسها . إن إيدان صار بعيدا عنها أكثر من أى وقت ، حتى في لحظة رفضها ومغادرته الكنيسة ليلة زفافها .

« إذن فإن علاقتنا ترجع لك أنت » .

« أنا ؟ .. أظن أننا مازلنا فى حاجة لاستمرار علاقتنا».

« هل تريد أن تجمعنا علاقة باردة بلا عواطف » .

« أظن أن هذا هو الدور الذى تطلبينه منى » تتورد وجنتا إنديا.

« إننى مستعد يا إنديا لقبول حقيقة أنك لم تعرفى شيئا عن ديون والدك ، وأن رهانك مع صديقتك «جين» كان مجرد مزاح ».

« صدقنى . هذه هى الحقيقة » يتجهم إيدان .

إنها تحب إيدان ومستعدة لإرضائه وإن كان على حساب سعادتها . ولن تستطيع البعد عنه أبدا .

« هناك شيء أريد معرفته أولا » .

« وما هو يا إنديا ؟ » .

« هل ستتوقف معاملتك لوالدى على ... ؟ » .

« على علاقتك معى ؟ وإرضائك لى ؟ » يهز إيدان رأسه ويغمض عينيه « هذا أمر بيننا . لا دخل لأحد فيه .

ربما بهذا وبدون تدخل أبيها يمكنها مراجعة علاقتها .

« لكن أريد أن أوضح لك شيئا يا إنديا . أنا لا أفكر فى الزواج حاليا . لن أضع نفسى فى هذا المأزق ثانية » .

تصدم إنديا بحديثه ولكنها لا تملك الشكوى أو الاعتراض . لأن إيدان سيرفض سماعها ببساطة .

تستجمع إنديا قواها : « أنا لم أطلب الزواج منك » .

تتذكر إنديا حديث إيدان عن والديه . وعدم كراهيته لها وحاجته إليها . لكن هل يسعدها ألا يعطيها إيدان قلبه ؟ هل سيكفيها هذا الإحساس ؟ لكنها لن تستطيع أن تعبر عن ضيقها لإيدان وإلا سيرحل عنها ويدمر حياتها ، لن يكون لحياتها معنى بدونه . فإنديا ليس أمامها خيار سوى موافقة إيدان وإلا ستخسره وتخسر نفسها وأملها وحياتها .... !!

الفصل الحادى عشر

« إيدان . لك مفاجأة عندى » .

تحمل انديا صندوقا يهتز فى يدها ، مثلما يرتعد صوتها .

« مفاجأة لى ؟ » .

ترتبك إنديا حين يحملق إيدان النظر إلى فستانها الأحمر (الكات) القصير المفتوح الصدر .. اختارت إنديا هذه اللحظة بالذات بعد خروج والدتها وأخيها لتجلس مع إيدان وتحدثه ..

« ماذا فعلت كى أستحق هذه الجائزة ؟ » .

« إنها هدية أردت إرجاعها لك منذ أمد بعيد . ولم أجد الوقت المناسب لتقديمها إلا في هذه اللحظة » .

تضع إنديا الصندوق على المنضدة . ينظر إيدان إلى الصندوق ويتفحص الطرد واسمه عليه وتاريخ العام الماضى والختم البريدى .

« لكن هذا طرد أرسل لى فى العام الماضى » .

أومأت إنديا : « أرسلته لك بعد رفضك لى فى ليلة زفافنا . ولكنك أرسلته لى ثانية » .

« لست فى حاجة إلى هذه الهدية » .

« أعرف هذا تماما . لهذا أرسلته لك . لأن ما فيه يخصك أنت» .

« ماذا تقصدين ؟ » يتجهم إيدان ويمزق غلاف الطرد ويفتح الصندوق .

« ما هذا ؟» .. « كل شىء . كل ما اشتريته لك » يهمس إيدان .

« فيما عدا الزهور . بالطبع » يتفحص إيدان محتويات الطرد ويمسك بعلبة مجوهرات فيها خاتم ذهبى .

« لا أصدق . أما زلت تحتفظين بالخاتم ؟ وكأننا تصالحنا بالفعل » .

« لا ، لا أحتفظ به لنفسى . لقد استغلك والدى أثناء خطبتنا بطريقة غير مقبولة . والآن لا أريد أن تستغلك أسرتى . لقد اشتريت لى هذه الهدايا حينما كنا نعد لحفل زفافنا . والآن لم يعد يربطنا شىء . لا شىء يجمع بيننا» .

قضت انديا لياليها الماضية فى حيرة وتردد شديدين بين أن توافق إيدان على رأيه فى علاقتهما غير العاطفية أو ترفض . ماذا ستقول له ؟

لم يطلب إيدان منها رأياً سريعاً ولم يبد تأييده لأى من الرأيين . لكن نبرات صوته ونظرات عينيه تؤكد حاجته إلى إنديا وافتقاده لها .

« أعرف أن هذه الهدايا لن تستطيع سداد شىء من ديون والدى . ولكن سيرتاح ضميرى بقبولك لها » .

« حينما اشتريت لك هذه الهدايا ، قدمتها لك أنت لتحتفظى بها . لا لترديها لى » .

« لكن لا أستطيع ذلك الآن !! وهناك مجوهرات ثمينة ... » .

« إن النقود لا تعنينى فى شىء » .

« ليس الأمر هكذا . لكنى لن أستطيع الحياة ، اذا لم أقم بأقل واجب تجاهك . أنا أريدك ... » .

تتوقف إنديا عن الحديث حين يلتقط إيدان ساعة أحدث موديل رقيقة .

« وهذه القطة التى كسبناها فى المعرض » .

تومىء إنديا فى صمت .

« لقد أعجبتك هذه القطة منذ أول مرة رأيتها فيها فى المعرض» .

« وأنت كنت مصراً على الفوز بها من أجلى ، يا إيدان » .

لا تزال إنديا تذكر المعرض وكأنها كانا فيه بالأمس ، وسعادتها برؤية القطة الصفراء الصغيرة ذات العينين الخضراوين . كان يوم خاص جدا بإنديا وإيدان ، كان ثانى لقاء لهما . استمتعا فيه كثيرا .

كادت إنديا ان تفقد توازنها حين التقت عيناها بعينى إيدان .

« لكنك أحببت هذه القطة . وسعيت أنا إلى شرائها من أجلك » .

اعتقد أنها ستجلب لى الحظ » .

كانت إنديا تتصور أن فوز إيدان بهذه القطة سيعنى فوزها بقلبه وحبه . ولكن صارت هذه القطة تمثل مجرد زينة رخيصة ورمزا لأحلامها وآمالها .

« وأنا حرصت على الفوز بها لأنها تشبهك كثيرا : شعرها الأصفر وعيناها الخضراوان اللامعتان . كنت مستعدة للتضحية بأى شىء لأفوز بها . وأهديها لك ... ولكن ماذا حدث لنا الآن ؟ « لقد تغيرنا كثيرا يا إيدان » .

« لا .. لم نتغير كثيرا . فمازلت أنا أحتاجك وأتمنى أن تصيرى ملكاً لى » .

« أرفض أن أكون ملكا لأى رجل !! » .

« لا .. لم أقصد ذلك يا أميرتى . ولكن قصدت أن أعبر لك عن إعجابى بجمالك وجاذبيتك وسحرك الأخاذ» .

لو نظر إيدان فى وجهها لعرف أنها أيضا تبادله نفس المشاعر.

تأخذ إنديا هدية أخرى ملفوفة بورق مزخرف ..

« هذه هدية لك ، افتحها » .

« لوحة طبيعية . هل اشتريتها بنفسك » .

« إنها كانت هديتى لك فى ليلة زفافنا » .

فى إحدى جولات انديا وإيدان قبل حفل زفافهما لاحظت إنديا إعجاب إيدان بهذه اللوحة . ذهب إيدان ليشتريها لكنه وجد المحل مغلقاً وصاحبه فى إجازة. فقررت إنديا أن تشتريها له وتهاديه بها ليلة زفافهما ، بينما كان إيدان فى رحلة للندن .

« لكنها باهظة الثمن » .

« أرجو أن تقبلها منى كجزء من دين أبى . إن سعرها فى تزايد مستمر » .

« لا أستطيع » .

« لا .. أرجوك أن تقبلها » .

يتحول انتباه إيدان إلى تجديد المنزل .

« ما رأيك يا إنديا لو أنى جعلت فى المكان الخلفى حمام سباحة؟ » بالتأكيد سينصح الأطباء والدك بالتمرن فيه فى فترة النقاهة ..

لماذا تنظرين إلىّ هكذا يا إنديا ؟ » .

« لماذا تفعل كل هذا من أجل والدى » .

« لا .. ليس من أجله . وإنما من أجل والدتك . إننى معجب بها للغاية إنها تكرس حياتها من أجل والدك دون شكوى أو تذمر . هذه هى أول مرة فى حياتى أصدق بوجود حب حقيقى » .

تتألم إنديا لكلمات إيدان ، فمادام إيدان لا يؤمن بالحب ، فلماذا تقدم للزواج منها فى العام الماضى ؟ وعلى أى أساس تقوم علاقتهما ؟ .

تذكرت إنديا كلماته عن حادث والديه ، وحوارهما سويا .

« أعتقد أن والديك لم يساعداك فى معرفة شىء عن الحب . كم كان يبلغ عمرك حين وفاتهما ؟ » .

« خمسة عشر عاما » .

« سن حرجة .. وماذا فعلت بعد وفاتهما ؟ » تتألم إنديا لمعاناة إيدان ووحدته فى سن صغيرة » .

« هربت من أقاربى ، تغيبت من المدرسة . أدمنت الخمر . تجاوزت القانون . تعرفت على جماعة أصدقاء منحرفين .. أحسست بأن العالم مدين لى بشىء لابد أن أسترده منه . ولكننى أدركت فى النهاية ، أنى خسرت الكثير . أنى تركت مأساة والدىّ تتخلل حياتى وتؤثر عليها . قررت التخطيط لمستقبلى » .

« بالفعل نجحت فى التخطيط لمستقبلك . وأصبحت تملك كل شىء .

« كل شىء ؟ » يتهكم إيدان .

« أجل . جنيت ثروة طائلة يحسدك عليها الكثيرون ، تغنيك عن العمل طوال العمر . والآن تسكن أجمل منازل القرية » .

« أنت إنسانة قنوعة يا إنديا ، إذا كنت تتصورين أن هذا هو كل شىء » .

« أجل لقد كونت ثروة طائلة وأستطيع تكوين مثلها . إلا الحب لا أستطيع شراءه ولا أصدق بوجوده » .

« يمكنك تغيير واقعك ؟ » .

« تقصدين الزواج ؟ لا أعتقد ذلك . فبعد أن رأيت مأساة والدى قررت ألا أتزوج من انسانة احببتها وأحبتنى . انسانة أجد معها مستقبلى وتتحملنى مثلما تتحمل والدتك أباك . لقد خاطرت بفكرة الزواج مرة وندمت على قرارى » .

يتمزق قلب إنديا لسماعها كلمات إيدان القاسية .

واضح أن إيدان لم يحبها وخاطر بفكرة الزواج منها وفى آخر لحظة تذكر مأساة والديه فتراجع عن خطئه .

الفصل الثانى عشر

« أما أنا فلن أتزوج » . « وأنت ما رأيك فى الزواج ؟ هل ستتزوجين ؟ هل تحبين الأطفال يا إنديا ؟ » .

تفكر إنديا (لقد سألت إيدان نفس الأسئلة وصدمنى بإجابته) .

« أنا أحب الأطفال . وأتمنى إنجاب طفلين على الأقل » .

تتخيل إنديا إنجاب ولد وبنت يشبهان إيدان : شعره الذهبى الناعم ، عيناه الزرقاوان ، طول قامته ، قوة بنيته ، ابتسامته الساحرة . تتصور إنديا أن إيدان أدرك أحاسيسها ومشاعرها . ولكنه يكشف تعليقه عن عكس ذلك .

« ستتزوجين جيم ؟ » .

« لا .. لن أتزوج جيم ... أنا مؤمنة بالحب مثلك » .

« وجيم ليس بالشخص المناسب . هذا ما كنت أتوقعه » . تضيق إنديا بإجابة إيدان . إنه يستفزها بفتوره ولا مبالاته .

« إنها الوحدة التى جعلتنى أفكر فى جيم » .

ألا يستطيع إيدان أن يرى الحب والشوق فى عينيها ؟ أن يسمع نبرات صوتها؟ أن يحس نبضات قلبها ؟ أن يفهم ما تحاول قوله له؟

« معك حق . ليس هناك شىء أفظع من الوحدة » .

يميل إيدان ناحيتها ويقبل وجنتيها ويمسح على شعرها الذهبى الناعم الطويل . يطيل إيدان النظر إليها وإلى صدرها وساقيها العاريتين ويمسك

بذراعيها . يقبلها إيدان . ويطيل النظر إلى عينيها. تلتقط إنديا أنفاسها بالكاد . ويشحب وجهها .

يعانقها إيدان ويقبلها . يطوقها إيدان بذراعيه ويفتح أزرار فستانها الأحمر بسرعة كبيرة ويلمس كتفيها وصدرها العارى ...

تساعده إنديا فى خلع ملابسه . يعانقها إيدان ويقبلها . تطوق إنديا عنقه بيديها وتمرر أصابعها بين شعر صدره وكتفيه العريضتين . يلقى إيدان برأسه على صدرها .

تتردد إنديا : « إيدان . ماذا ستفعل حينما يصل والدى ؟ نحن لن نستطيع رد جميلك ولا نعرف كيف نشكرك . كيف سيمكننى رد ديونك ؟ ».

يرد إيدان فى عنف : « رد الديون !! هل كل ما بيننا هو رد الديون والشكر».

« لا . بالطبع » بينما تفكر إنديا فى إجابة مناسبة ترضى إيدان تتحول أفكارها فجأة لشىء آخر . لقد سمعت صوت سيارة تركن أمام المنزل . وصلت والدتها بالتأكيد .

« لقد عادت والدتى » تنهض إنديا منزعجة ، يساعدها إيدان فى ارتداء ملابسها . يرتدى إيدان ملابسه .

هبطت إنديا لمدخل المنزل تسوى شعرها وتغلق أزرار فستانها . تبعها إيدان فى هدوء إلى المكتب .

سمعت إنديا صوت والدتها «ماريون مارشانت» تصرخ فى فرح « إنديا ، حبيبتى . عندى أخبار سارة . لقد تحسنت حالة والدك كثيرا . قريبا سيكون بيننا».

« رائع !! » .

« نتمنى أن يغادر المستشفى فى آخر الأسبوع . لكن ... أوه !!». تحدق والدتها النظر فى خاتم من الماس .

« أوه !! إنديا . ما هذه الأخبار السارة ؟ ياله من يوم جميل ملىء بالمفاجآت السارة».

تتلعثم إنديا : « نحن ... » .

يجيب إيدان فى سرعة : « لقد عرفوا كل شىء يا أميرتى !! » يبتسم إيدان .

« أعرف أنك تفضلين الانتظار يا إنديا . لكن والدتك عرفت كل شىء ».

يطوق إيدان إنديا بذراعيه « لقد طلبت الزواج من إنديا . طلبت منها أن تمنحنى فرصة ثانية ، ووافقت إنديا» .

« أوه .. مبروك يا حبيبتى» .

يعانق إيدان إنديا . تتعجب إنديا كيف لإيدان أن يتحدث بهذه السعادة والبهجة فى حين أنه يكذب ، يخدعها ويخدع والدتها . وهو لا يبادلها مشاعرها .

فى أول مرة طلب منها إيدان الزواج . خوفا من ألا تستمر علاقته بها لأنها كانت ترغب الزواج . والآن يحاول إيدان خداع والدتها لإخفاء الحقيقة متجاهلا الآلام التى يسببها لإنديا .

« لابد أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة يا ابنتى . سأعد الشامبانيا حالا ».

« هذا سابق لأوانه يا أمى » .

يؤيد إيدان إنديا فى عدم التعجل بالاحتفال : « لماذا لا نعد حفلة شاى . ونؤجل الشامبانيا لحين رجوع زوجك ؟ ».

« بالطبع . لابد أن يشاركنا الحفل حين عودته سالما . سأذهب لأعد الشاى الآن » بمجرد أن تخرج والدة إنديا . تقترب إنديا من إيدان « آه ، كيف تصرفت هكذا . لن أكون شريكة لك فيما فعلته».

« أظن أنه فات أوان هذا الاعتراض . لقد كانت أمامك الفرصة للاعتراض. فلماذا لم تعلنى رفضك ؟».

« فرصة !! أنت تعرف جيدا . أنه لم تكن لدى أية فرصة للرفض».

يمسك إيدان الخاتم الماس .

« ألبسى الخاتم يا إنديا» .

« لا أستطيع » .

لقد أعطاها إيدان هذا الخاتم من قبل حين تقدم لطلب الزواج منها . والآن

يخدعها إيدان مثلما خدع والدتها . كيف لها أن تسمح له بخداعها ثانية .

« إذا لم ترتديه يا إنديا ، فلن تصدق والدتك خطبتنا » يجيب إيدان فى هدوء وفتور . تهز إنديا رأسها فى هدوء .

« إذا أردت إعلان خطبتنا حقا لتسهيل الأمر عليك . سأفعل . سأتقدم للزواج منك فعلا » لا تكاد إنديا تصدق أذنيها . تصعق بكلام إيدان .. ولكنها تفكر فى استحالة أن يصدق إيدان حديثه وهو الذى أقسم ألا يتزوج إلا بامرأة أحبها .

« لا داعى للمزاح يا إيدان . كيف تفكر فى الزواج ونحن لا يجمع بيننا أى ارتباط عاطفى أو حب ؟ » تتحدث إنديا بصوت عالٍ .

يقتل صمت إيدان كل أمل فى قلب إنديا . يهز إيدان رأسه .

« لا .. لن أتراجع عن رأيى أبدا » .

« ولن أتراجع أنا أيضا . لا تحدثنى فى هذا الأمر ثانية . إنك تحاول خداعى وكل ما تفعله معى هو كذبة حمقاء ممقوتة » .

تتألم إنديا فى مرارة وحسرة . تدمع عيناها وتولى ظهرها لإيدان . يضع إيدان الخاتم على المنضدة ويوجه إلى إنديا نظرة مبهمة غامضة .

الفصل الثالث عشر

« إيدان ؟ أين أنت ؟» .

تتجه إنديا إلى المكتبة التى اعتكفها إيدان هذه الأيام . يطالع أوراقاً كثيرة ، ولكن اليوم يشغل إيدان بكتابة بعض الأوراق التى وضعها فى ظرف أبيض كبير .

« إيدان . سيغادر والدى المستشفى اليوم . نحن ذاهبون الآن لزيارته » يبدو إيدان شاردا .

تفكر إنديا (لماذا تغير إيدان هكذا منذ رفضى ارتداء خاتم الزفاف الماسى . لم نعد نراه سوى على العشاء . يجلس شاردا ، قليل الكلام . يتجنب الحديث معى أو التواجد معى . تركنى وحدى أبرر عدم ارتدائى خاتم الزفاف الماسى . لقد صار إيدان كالتمثال المرمرى فى نظراته كبرياء شديد . فاتر المشاعر . لا .. ليس هذا هو إيدان الذى عرفته من قبل) .

« لن نتأخر سنعود بعد ساعة » .

« حسنا » يرد إيدان فى جفاء . ولكنه يتذكر شيئا : « إنديا » يعطيها إيدان الظرف الأبيض « هذا الظرف لأبيك ؟ » .

« لوالدى ؟ ما هذا ؟ ولماذا الآن ؟ » تخاف إنديا . هل هذا ممكن ؟ هل بلغت القسوة بإيدان هذا الحد ؟ أن يرسل لوالدى قائمة بديونه .. ولا يزال والدى يعانى آلام المرض . تتجهم إنديا « إيدان . إن والدى لا يزال مقيما بالمستشفى . ولم

www.elromancia.com

يشفَ بعد .. ».

يفهم إيدان نظرات إنديا . وكأن إنديا كتاب مفتوح منبسط : «هل تتصورين أنى سأفعل شيئاً كهذا ؟ » ينهض إيدان ويضع يديه فى جيوب بنطلونه الأسود . وينظر ناحية النافذة « هل تتصورين أنه من الممكن أن أستغل رجلاً مريضاً ؟ » .

« لا ، يا إيدان ، معذرة » .

لقد كان إيدان دائما يشعرها برغبته فى الانتقام منها ومن أبيها والاستيلاء على منزلهم واعلان إفلاس أبيها . ولكنه الآن يبدى تنازله عن فكرة الانتقام . تضع إنديا الظرف فى جيب جاكتها الأحمر وتتجه نحو الباب . يراقبها إيدان . تقترب إنديا من الباب . يناديها إيدان فى صوت رقيق هادىء . تسمعه إنديا لأول مرة . تلتقى عينا إنديا بعينى إيدان فى لهفة .

« نعم » .

« أتمنى سلامتك » يودعها إيدان وكأنها مسافرة بعيدا، ستغيب وقتا طويلا .

« سأعود قريبا قبل أن تفتقدنى » تبتسم إنديا .

« إلى اللقاء ، يا أميرتى » تقف إنديا مذهولة « قلت إلى اللقاء . ولا تنسى أن تسلمى والدك الخطاب » .

تسرع إنديا نحو السيارة ، يرافقها جارى ووالدتها .

ظلت إنديا طوال الطريق تفكر فى إيدان ووداعه لها ورقته معها. لا تفارقها صورة إيدان للحظة واحدة ولا صوته . كادت إنديا أن تنسى تسليم والدها خطاب إيدان .

« بابا ، لقد كدت أنسى . هذه رسالة لك » يفتح أبوها الظرف ويقرأه مذهولا .

يسأل والدها : « ما معنى هذه الرسالة ؟ لماذا ... إيدان وولف؟». تجيب زوجته ماريوت : « إن إيدان يقيم معنا الآن . تقدم إيدان لخطبة إنديا . وعقدا صلحا سويا » .

« لهذا ... ؟ » .

تسأله إنديا فى عجلة : « ماذا حدث يا والدى ؟ ماذا فعل إيدان؟ »

« ارجع إيدان المنزل وكل شىء لى وتنازل عن ديونه » .

لا تستطيع إنديا تصديق ما سمعته . تأخذ إنديا الرسالة وتتصفحها (ياله من إنسان كريم شهم !! تنازل عن المنزل واعتبر إصلاحاته هدية لنا . لماذا يتصرف معنا هكذا ونحن تحت رحمته ؟ لا نملك شيئا ؟ ...

مازلت أذكر حديثى معه عن حمام السباحة الذى قال إنه أعده من أجل والدى خصيصا . ما معنى كل هذا ؟ ما معنى نظراته التى ودعنى بها ؟).

لاحظت والدة إنديا اضطراب ابنتها « إنديا ، إذا أردت الرحيل الآن . فلا تقلقى علينا . ستنقلنا سيارة الإسعاف » .

« معذرة !! سأرحل الآن يا والدى . هناك شىء ضرورى لابد أن أفعله . إنه أهم شىء فى حياتى » تفتح إنديا الباب فى عجلة لم تستطع إنديا انتظار المصعد . هبطت السلالم . وركبت سيارتها مسرعة ناحية (وستبارى) . لاحظت إنديا على مشارف القرية سيارة رمادية . هى سيارة إيدان . بالتأكيد إيدان سيعود للندن .

ماذا ستفعل إنديا الآن ؟ لابد أن تتبعه وتلومه على سفره .

أخيرا لحقت إنديا بسيارة إيدان الـ (جاجوار) . لكنه لم يلحظ سيارتها إلى أين سيذهب إيدان ؟ لقد صحت ظنونها . ها هى أمتعته فى الكرسى الخلفى للسيارة .

يتجه إيدان إلى الكنيسة التى عقد فيها حفل زفافهما فى العام الماضى . تدمع عينا إنديا . تتسمر يدا إنديا على عجلة القيادة . يتمزق قلبها . تنتظر إنديا داخل سيارتها حتى تهدأ. يوقف إيدان سيارته ويتجه نحو الكنيسة . تتبعه إنديا . يقف إيدان صامتا ويداه فى جيبى بنطلونه الأسود ، فى نفس المكان الذى وقف فيه مع إنديا فى العام الماضى لإتمام مراسم زفافهما .

تلحظ إنديا إحباط إيدان فتسرع نحوه .

« إيدان » يدهش إيدان لسماع صوتها .

« ماذا تفعلين هنا يا إنديا ؟ ».

« كنت أتبعك بسيارتى . لابد أن أتحدث معك ؟ » .

« ليس لدينا ما نقوله » .

« لا .. على الأقل ، إذا لم يكن لديك ما تقوله لى ، فأنا عندى كثير من الأسئلة. إلى أين أنت ذاهب يا إيدان ؟ هل ستعود للندن؟ هل ستتركنا ؟ » .

لم يجب إيدان . لم تخف عيناه مشاعره المضطربة .

« لماذا تركتنا ؟ » .

« تركتكم لأجد الأفضل » .

« الأفضل ؟ الأفضل لمن ؟ لى أم لك ؟ » .

« لنا نحن الاثنان . لا بد أن نفترق . لقد أخطأنا منذ البداية».

يتجمد دم إنديا لسماع كلمات إيدان . تتبدد كل أحلامها وآمالها .

« لماذا قدمت لهنا . لا أريدك هنا . أبعدى عنى . أخرجى من حياتى للأبد».

آه ، لقد خانتها مشاعرها . إنه لا يكن لها أية مشاعر . وإن كان يشعر تجاهها بأية عاطفة سابقا . فقد تحولت مشاعره الآن .

« آه ، لقد فهمت يا إيدان » .

« حسنا . سأذهب الآن ولا تتبعينى » .

آه ، يالها من حمقاء . إنه لم يحبها إطلاقا . واندفاعها من المستشفى ومتابعته بسيارتها كلها محاولات فاشلة لن تجدى مع رجل مثل إيدان ... كيف ستعيش حياتها بعد ذلك ؟ وهل للحياة قيمة بدون إيدان ؟

الفصل الرابع عشر

« سأذهب ، على ألا تتبعينى ... أخرجى من حياتى » .

دوت كلمات إيدان فى رأسها كالرعد . تركتها بلا أمل . حتى أنها لو حاولت نداءه لنهرها ووبخها .

لم تستطع إنديا منع نفسها عن مراقبته وتذكر أحداث العام الماضى حينما تركها تعانى العذاب وحدها ، دون أن تدرى السبب .

« لا .. لن أتركه يذهب . ولكن ماذا بإمكانى أن أفعل ؟ » .

تذكرت إنديا كلمات إيدان : « لو أنك سألتنى الأسئلة الصحيحة، لأجبتك» .

لكن ما هى الأسئلة الصحيحة ؟ ماذا يمكنها أن تفعل أمام رفض إيدان لها؟.

« إيدان . انتظر !! » .

يقف إيدان على الفور . دون أن يلتفت ناحيتها .

« لدى بعض الأسئلة . وبعد إجابتها إذا أردت الرحيل ، فلن أمنعك . لكن أرجوك أن تجيبنى بصراحة » .

قد تكلفها هذه الصراحة الكثير . إنها مخاطرة حقا .

يتنهد إيدان : « اسألى » .

هذه فرصة إنديا ، لابد أن تستغلها : « لقد سلمت خطابك لوالدى . لماذا فعلت هذا ، يا إيدان ؟ تنازلت عن كل ديون لك ؟».

« لأنى رجل ثرى » يهز إيدان كتفه .

« لقد طلبت الصراحة يا إيدان . وإلا فلا فائدة من أسئلتنا . لقد قلت أننا فى حاجة للتعارف ... فلماذا لا نحاول ؟ » .

« لسنا فى حاجة لهذه المحاولة . أنا لا أحب الرهان الخاسر » . إن علاقتنا محكوم عليها بالفشل منذ البداية . لقد كنت أعمى أحمق لماذا رجعت (لوستبارى) ؟ كان لابد أن أعرف أن محاولتى مقابلتك ... » يحاول إيدان إخفاء مشاعره .

« تحاول مقابلتى !! لقد قلت أنك قدمت فقط لمقابلة والدى . لاسترداد قروضك . لا .. هذه أسطورة . أليس كذلك يا إيدان ؟ ولكن كان من الممكن أن توكل أحد الموظفين لجمع مستحقاتك » .

« لكنى أردت منزل جرانج » .

« أجل . أردت منزل (جرانج) بدليل إصلاحك له وإرجاعه لوالدى . فهل هذه محاولة منك لتكسب شهرة واسعة كرجل أعمال خيّر بار ؟ أو فرصة لتغير انطباع الناس عنك يا (لون وولف) ؟ » .

« أنت تعرفين مدى كراهيتى لهذا الاسم . أنا لست كما يتصورنى الناس . أنا فى الحقيقة أحببت امرأة بجنون ، رغم أنها لا تبادلنى نفس الشعور ... صدقينى تلك هى الحقيقة . لقد أحببتك من أول مرة رأيت فيها عينيك . لم أصدق ما سمعته عنك فى البداية . قررت أن ألقنك درسا . ولكنى لم أستطع . وحينما طلبت الزواج منى . قررت انتهاز الفرصة » .

« ورفضى ليلة زفافنا » .

« أعرف ... لكن صدقينى يا إنديا . كنت أنوى الزواج منك فعلا . ولكنى لم أكن متأكدا من مشاعرك » .

« صحيح أنا لم أصرح بمشاعرى . لكنى وافقت على الزواج منك » .

« حسنا . أعرف السبب . أنت أردتى الزواج منى لأنى ثرى . وبالفعل كنت سأتزوجك . ولكن فى الكنيسة حينما نظرت إليك عرفت خطورة ما أنا مقدم

عليه » .

« أية خطورة ؟ » .

« كنت سأقيدك بزواج لا يقوم على الحب . وهو ما حدث مع والدى خفت عليك من أن تكرهينى وتملى الحياة معى » .

« لقد اخترت أكثر الحلول قسوة » .

« أعرف لكن ماذا بإمكانى أن أفعل ؟ كنت أود إبعادك عنى . لأنك لو ظهرت فى حياتى ثانية . لن أستطيع نسيان حبك » .

تجيبه إنديا فى هدوء : « إيدان . لقد نسيت شيئاً مهماً جدا » . يحتار إيدان : « ما هو ؟ » .

« إن الحب لم يجمع بين والديك أبدا . هما لم يعرفا شيئا عن الحب مثلنا » .

يشحب وجه إيدان : « مثلنا ؟ » .

تقترب منه إنديا : « أجل . ألا تعرف . ألم تحس بحبى لك ؟ » .

تمسك إنديا بيديه . يعانقها إيدان ويضمها فى حرارة إلى صدره .

يقبلها إيدان قبلة لا تحلم بها من قبل أو طوال حياتها .

« هل هذا صحيح ؟ هل تحبينى ؟ أنا لا أصدق نفسى » .

« لقد سمعتنى يا إيدان . أنا أحبك من كل قلبى . وصدقنى أموالك لا تهمنى فى شىء . أنا أحبك حتى لو كنت فقيراً ، لا تملك شيئا . أنت أهم شىء فى حياتى » .

« رغم كل ما أملكه » تضع إنديا إصبعها على شفتيه فى اعتراض . وتقبله .

« لماذا لم تحدثنى عن رأيك فى من قبل ؟ كان ينبغى أن تصارحنى » .

« أعرف هذا . ولكن لم أجرؤ . خفت أن أحدثك عن رأيى فيك . فتصارحينى بعدم حبك لى ورغبتك المال . أو أنك كنت سترفضينى وهذا ما لا أطيقه » .

« ولماذا أجلت دفع مبلغ (اتفاق الزواج) مدة عام ؟ » .

« لأننى كنت أخطط للزواج منك . كان لدى أمل فى أن تتحسن حالتك

المادية ، فتتخلى عن فكرة الزواج من أى رجل ثرى . وأردت أن أتعرف عليك خلال هذا العام وأن أترك لك فرصة الارتباط بى عاطفيا ، حتى يجمعنا الحب .

« وهذه المرة ؟ لماذا رجعت ؟» .

« لأجدك . حاولت البعد عنك ولم أستطع العيش بدونك . انتهزت فرصة ديون أبيك . لأقترب منك وأراك . والآن عرفت بإخلاصك وحبك لى . سامحينى» .

« لا داعى للاعتذار» تقبله إنديا « لقد أساء والدى التصرف باستغلالك وتدخله فى حياتنا . هل ستصفح عنه يا إيدان وتغفر له؟» .

« إذا كنتِ تحبيننى يا إنديا ، سأفعل أى شىء . إنه والدك وأنت تحبينه . ومن أجلك سأنسى الماضى كله » .

« لا تقلق يا إيدان . إن والدى يوافق على ارتباطنا وأنا متأكدة من أنه سيعتذر لك عما بدر منه » .

« سأفعل أى شىء من أجلك يا أميرتى . أتمنى أن أقضى بقية عمرى معك لإسعادك » .

« إنديا ، حبيبتى . هذا أنسب مكان سأسألك فيه . هل تقبلى الزواج منى ؟ هل ستعطينى فرصة التعبير عن حبى لك . وتعويضك عن أحزان العام الماضى؟» .

« هل الإجابة عن هذه الأسئلة ضرورية ؟ » تتنهد إنديا فى سعادة .

« ربما لا . لكننى محتاج لإجابتها . لقد أقسمت ألا أتزوج إلا عن حب حقيقى . والآن تبددت كل شكوكى . فمستقبل معك أنت . بدونك أنا لا أساوى شيئا . لذا أرجوك أن تجيبينى ... » .

« أجل . يا إيدان . الإجابة قطعا نعم . ولا شىء غيرها» .

تبتسم إنديا . تتلاقى أعينهما .

« يا إلهى . قبلينى يا إنديا !! » .

ترتمى إنديا بين ذراعيه . وتغمض عينيها . يتلمس إيدان صدرها وساقيها وخصرها .

« يا إلهى . كم أنت جميلة يا إنديا !! معك أنسى العالم بما فيه وأرى عالماً آخر يجمعنا وحدنا سويا» .

تعانقه إنديا .

« كم أنت رقيق يا إيدان !! ... » .

يحملها إيدان بين ذراعيه ويغادران الكنيسة إلى مستقبل مبهج سعيد أكثر إشراقا .

www.elmanhal.com